اقرأ

عبد العزيز جاويد

الطريق إلى النجاح

دار المعارف بمصر

الطريق إلى النجاح

عبد العزيز جادو

الطريق إلى النجاح

اقرأ ٢٢٩
دار المعارف بمصر

اقرأ ٢٢٩ – يناير سنة ١٩٦٢

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج.ع.م.

أسرار النجاح

إذا لم أجد طريقى فى الأرض المعبدة ، فسأقتحم القمم الصخرية الشاهقة دون تذمر ، لأننى أعلم أن كل جهد يتضمن فى ذاته الجزاء الكافى عنه ، وأن الآفاق الواسعة تنتظرنى آخر الطريق .

« جورج صاند »

نحن نتطور فى كل لحظة ، وكل دقيقة ، وكل ثانية . إن الحياة نفسها تدور بلا انقطاع . . وليس للهدوء معنى ، إنه لفظ مرادف للموت . وواجبنا فى الحياة أن نسير دائماً إلى الأمام نحو الخير . . ومهما قصرت خطواتنا ، ومهما واجهتنا العقبات ، ومهما وطئنا الأشواك ، فلا ينبغى أن نرتد إلى الوراء ، وإذا حدث أن تقهقرنا ، فلكى ننشد طريقاً آخر نمضى فيه إلى الأمام .

« إيليا اهرنبرغ »

هناك فى الغالب كثير من النظريات المختلفة التى تتعلق بمضمون النجاح بقدر ما يوجد فى الدنيا من أفراد . والنجاح ، مع ذلك ، شىء نسبى فى هذا الوجود . فالذى يعتبره أحد

الأشخاص نجاحاً، يعتبره الآخر إخفاقاً . فإن لعنة التقديرات الزائفة ، ومحنة الآراء الكاذبة ، ليست أكثر وضوحاً وأكثر صراحة فى أى مكان مما هى فى هذه الحياة . فالجمهور يسيء الفهم بين المتغير ، الزائل ، الفانى ، وبين المستقر ، الثابت ، الدائم . . إنه لا يفرق بين الوسيلة للغاية ، وبين الغاية ذاتها . . يُعشي البريق الزائف بصره فيخال البهرج الكاذب ذهبا نُضاراً . . ويتشبث بالقشور دون اللباب .

ومجرد امتلاك المال لا يعنى بحال من الأحوال أن الفرد فى حياته ناجح . ومع أن الصورة التى تسحر بها كلمة « النجاح » الشخص المتوسط وتستميله إليها هى المال ، فهناك آلاف من الناس ذوو ثروة مادية وفيرة فى حال من الإخفاق يرثى لها. إنهم فى أغلب الأحيان وحيدون ، وعن الناس منقطعون ، يائسون ، قانطون . . والبخيل قد يكون لديه مال كثير ، ولكن ليس هناك أى بخيل نال قسطاً من النجاح ضيئلا . .

فالمال وسيلة إلى النجاح ، إذا استعمل بحكمة وتدبر . وحيازته يجب ألاّ تزدرى أو يستخف بها . فهو يمثل القوة والقدرة، ويدفع فى الغالب إلى التيقظ ؛ ويعبر عادة عن النشاط والهمة فى كثير من المهن الدقيقة ، والأعمال الخاصة . وليس من شك فى أن اقتناءه واستعماله بحكمة وتعقل يمكن أن يسهل بدرجة عظيمة البحث عن السعادة والنجاح . ولكن المال هنا وسيلة إلى تلك الغاية وليس الغاية نفسها .

والشهرة أيضاً لا تتشابه فى المعنى مع النجاح . فكثير من الناس ينفقون كل حياتهم فى كفاح مرير وفى نضال عنيف للحصول على الشهرة ، فلا يجدون من هتافات العامة ، وصيحات استحسان الدهماء إلاّ عدم الشعور بالرضا وعدم الإحساس بالغبطة . . فالشهرة شيء من باب التحايل . وإنها لغرّارة خدّاعة ، لا أمان لها . فهى اليوم غير ما ستكونه غداً . . هى اليوم هنا ، وغداً تفتقدها فلا تجدها . والغوغاء المذبذبون ، متقلبو الرأى ، يرفعون أبطالهم اليوم إلى أبراج الرضا ، وقباب القبول ، ليطوحوا بهم غداً إلى هوة النسيان السحيقة إذا خطرةٌ وهم خطرت ، أو سورة خاطر بدرت ؛ يهتفون اليوم هتافات الاستحسان ، وغداً يصفرون باستهجان ، ثم لا يلبث أن يسدل عليه فى شهور قلائل ستار النسيان . . هذه هى مأساة التجربة المريرة التى عاناها كل من اصطلى بضع لحظات قصار بأشعة شمس التقدير السوقى الرخيص .

تقلبات الشهرة :

لقد كان ولنجتون ، بطل موقعة ووترلو ، يحتفظ إلى يوم مماته بخوذته المحطمة بالحجارة التى كان يقذفه بها الشعب الثائر فى لندن بعد مرور مدة قصيرة على استقباله استقبالاً يليق بمكانة منتصر على نابليون ومنقذ للحضارة والعمران . .

وجثمان الإسكندر الأكبر ، ظل ملقى أكثر من ثلاثين

يوماً بعد موته دون أن يتطوع أحد لوضعه فى قبر يليق به . .

ويوليوس قيصر ، حكم العالم يوماً ، وصرعه فى اليوم التالى أصدقاء كنودون ، وللجميل ناكرون . .

وغير هؤلاء كثيرون . .

ليس ثمة إلاّ معيار واحد ثابت للنجاح — هو العمل الفذ لتكوين شخصية كاملة متكاملة ، منسقة متسقة ، قوية سوية ؛ تكون فيها : قوة يضرب بها المثل ؛ وحكمة مدّخرة ، عزيزة مقدسة ؛ وتوازن يصون لصاحبه هدوءه ووقاره ، ويحفظ له سكينته ورخاء باله وسط عواصف الحياة الهوجاء ؛ وقدرة على ضبط النفس تجعل الحياة أقرب إلى اللاهوت ؛ وتحاسس[1] وتآلف يصبغ الأيام باللطف ، ويخضب أكفها بالأنس والإيناس والرقة ؛ وحب يملأ الحياة بالدفء وشذى الربيع والسعادة الأبدية .

إن أولئك الذين ينجحون فى تحقيق هذه الصورة يكوّنون من أنفسهم جماعة روحانية فى عالم صوفى ، طاهر ، مقدّس . ومع أن عددهم سيكون قليلا لا يذكر ولا يعتد به ، إلاّ أن تأثيرهم ونفوذهم سينتشر إلى أبعد حدود الانتشار . لأنهم سلالة من النوع الأسمى ، وإنهم لأشباه آلهة ! . . إنهم يبجلون الحياة ويجلونها ؛ وإنهم ليقودون أفراد الشعب إلى أعلى مرتفعات السمو

---

(١) التحاسس : الاشتراك فى العاطفة .

والرفعة ؛ وجودهم معنا أو على الأقل قربهم منا فيه خير وبركة ؛ إن لمساتهم تحوّل كل شيء إلى موسيقى وابتهاج ، وضياء وذهب .

إنهم يوقدون النور فى محراب الإيمان . . هم مخلّصو العالم ومنقذوه . . هم الحرّاس الذين يتقدموننا للبحث عن الخير . . هم ساكنو التخوم عند أفق الأمل البعيد . . إنهم المحسنون ، الخيّرون ، المتصدقون ، الذين هم للمجاهدين والمكافحين أشبه بظل صخرة شماء فى أرض صلدة جرداء ، يستريحون إليها ، وبظلها يتفيئون . .

النجاح الذى يشرف الحياة ، ويرفع قدرها ، ويمجدها ، يرتكز على مبادئ معينة الحدود ، واضحة المعالم :

١ – الأسس الفيزيقية يجب ألا نتغاضى عنها ولا نغفلها . . فمن الناس من يتوهم – خطأ – أن النجاح زيادة فى الصحة ، ومظهر لاصطخاب كريات الدم الحمراء ، وسهولة فى الهضم . وهذا فى النادر ما يكون صحيحاً . فلقد عرف أكثرنا أشخاصاً لا يعتد بهم ، ولا أهمية لهم إطلاقاً يعيشون فى أتم صحة وأوفر عافية . ومع ذلك فالمميزات الجوهرية الأخرى للنجاح إذا أعطيت لرجل ذى بنيان متين وصحة موفورة سيصل حتماً إلى الهدف بسرعة فائقة .

إذن فتلاحظ بعناية فائقة قوانين الصحة من الناحية البدنية والعقلية . واستعمل طاقة الرئة كلها بقدر ما تستطيع فى التنفس

الشعورى ، الغائى[1] . كن حريصاً أشد الحرص على ضمان التخلص من فضول الجسم . ولاحظ قواعد التغذية المنظمة . مارس التمرينات الرياضية كل يوم بانتظام وبرغبة أكيدة لتكسب جسماً صحيحاً . تعلم كيف تسترخى ، وكيف تنقذ جسمك من مجهود التوتر المدمر . ثم لاحظ قوانين الصحة من الوجهة العقلية . فكر فى الصحة بدل المرض ، وفى القوة بدل الضعف . واضبط العواطف السلبية كالخوف والقلق والكآبة والغم وانقباض النفس والغضب . وستكون الصحة هى مكافأتك التى ستنالها جزاء ما بذلت من مجهود .

٢ ــ المبدأ الثانى للنجاح هو أن تفكر تفكيراً صحيحاً ، وتكون على وفاق تام مع قانون العلة . تعلم كيف تفكر تفكيراً مستقيما متزناً ، لا تفكيراً عاطفيًّا ملتوياً . يقول هربرت هبارد : « إن التفكير هو أرقى الأشياء . وأن تفكر تفكيراً صحيحاً بأن تخلق وتبتكر . فكل الأشياء تأتى عن رغبة ، وكل صلاة مستجابة تكون عن حماس . إننا نصبح بتفكيرنا ذلك الشىء الذى نحلم به ونشتهيه » .

اجعل حياتك الشخصية تسير على طريق معقولة رشيدة . ولا تكن من المستبطنين الذين يفحصون عن بواطن الأشياء . دع اهتمامك وميولك يغلب عليها طابع الخير للغير ، بعيدة كل

---

(١) الغائى : ذو غاية .

البعد عن الأنانية وحب الذات . استعمل الطريقة الاستقرائية فى التفكير والتعليل من المعلوم إلى المجهول على أساس من مبدأ الواقع . ولا تفترض الأشياء ، ولا تقبل المبادئ المضمرة ، والاستنتاجات التى لا يقوم عليها دليل .

٣ ـ أحكم عواطفك السلبية . ولا تجعلها تتحكم فيك ، أو تتسلط عليك . فليس النجاح خليقا إلاّ بالرجل الذى يستطيع أن يسود نفسه . أما الذين يستسلمون للخوف والقلق ، ويستكينون للكآبة والغضب ، ويذعنون للحقد والغيرة ، ليسوا سادة بل عبيداً أذلاء .

اجعل حياتك العاطفية فى حد المعقول . . انقل انتباهك إلى ميول واهتمامات بناءة معمرة . . كن بشوشاً ، مرحاً ، فكهاً ، خفيف الروح . . حوّل طاقاتك . . أبدل عواطفك السلبية بأخرى إيجابية . . كن عظيما ، رفيعاً ، سامياً فى عالمك الذاتى . . رتب بيتك العاطفى ، واعتن بتنظيمه وتنسيقه . .

درب إدراكاتك :

٤ ـ رقّ قوة ملاحظتك وحسنها . تبصر واهتم بما عجز الآخرون عن التبصر فيه والاهتمام به . راجع وافحص ما أخفق الآخرون فى إدراكه أو معاينته أو الإحساس به. املأ لاشعورك بثروة من الإحساس بإدراك : الشكل واللون والصوت والحركة . عش فى دنيا الملاحظة الواسعة الخصيبة ذات الثراء الغزير . .

ادرس الأشياء بإسهاب : كالمبانى ، والأشجار ، والأزهار ، والجبال والمحيطات والأنهار والناس والحيوانات وغيرها . إن دراسة دقيقة لمعظم الأشياء المألوفة لك كأوراق الشجر والأزهار والأحجار مما تراه على جانبي الطريق فى أثناء سيرك سيفيدك فائدة عظيمة .

إنما الإدراك هو أساس كل تحصيل ناجح ، ودعامة كل عمل عظيم ، سواء أكان فى الصناعة أو الابتكار أو الاختراع أو الفن أو العلوم أو الآداب .

٥ ـــ كما أن التخيل يلعب دوراً رئيسيًّا هامًّا فى تحصيل النجاح . فعليك أن تواظب على تحسين ملكة التخيل بالتمرين الدائم. أغلق عينيك وارسم صوراً وأشكالاً ذهنية صحيحة . انظر إلى الأشياء نظرة من يرى فيها صلات أو علاقات جديدة [١].

والتخيل هو الذى يميز بين الإنسان والحيوان . ويفرّق بين حياة الخمول والبلادة ، وبين حياة التحصيل الخالق المبدع الطامح المتطلع إلى أعلى . بل هو روح العطف والود والانجذاب إلى مشاركة الغير فى حالته ، وإلى حب الخير .

وأنت ينبغى لك أن تتخيل نفسك فى مكان زميلك لكى تحاسسه [٢] وتعطف عليه ، وتعامله بما يستحق حتى يعاملك بالمثل .

---

(١) أفردنا فصلا خاصاً بالتخيل فى كتابنا « لكى تكون سعيداً » بسلسلة « اقرأ » رقم ٢١٧ فليرجع إليه من يشاء .

(٢) المحاسسة : المشاركة الوجدانية أو التشارك فى العاطفة .

« كل شيء تحب أن يفعله الناس لك ، فافعله لهم : هذا هو القانون والأنبياء[١] » .

٦ – يعتمد النجاح أيضاً على تمرين سار بهيج للجهد المبدع الخلاّق . فمن ابتغى نجاحاً فعليه أن يرضى كل الرضا عن عمله ، وأن يرى فيه ترضية إيجابية ، وغبطة وسروراً . ونحن بإنجازنا الواجب اليومى على أنه طرفة من طرائفنا نجعل من العمل التافه آية كبرى ، ومن الواجب العادى ترنيمة عذبة ، وتسبيحة ملائكية .

أدخل التخيل والحماس فى عملك ، وابعث فيه روح الحمية . ابحث عن لذتك العميقة وسرورك العظيم فى الهمة الخالقة ، وفى النشاط المبدع . كن بين صانعى ومهندسى وبنائى الغد الذى لم يولد بعد . ولا تخف من البدء فى الخلق والإنشاء .

إن العبيد وحدهم هم الذين ينجزون واجباتهم بغير تفكير أو انتباه لما يعملون ، كما كان حال الملايين من قبلهم . أما النفوس الكبيرة فهى وحدها التى تجد لعمل الأشياء سبلاً أسهل وأسرع وأكثر فعالية وأعظم نجاحاً . وهى وحدها التى تنير دروباً جديدة . وهى التى تحتفل بافتتاح نظم وتدابير ومشروعات جديدة .

٧ – فى الوقت الذى يقوم الرجل الناجح بإنجاز عمله

---

(١) إنجيل متى ٧ : ١٢ .

اليومى على خير وجه يكون واضعاً عينيه على الهدف . ومعظم الذين صنعوا التاريخ كانوا يحلمون فى الوقت الذى كانوا فيه يعملون . فانظر إلى نفسك بعين خيالك كأنك تعمل الشيء العظيم الذى تود لو أن تقوم بعمله حقيقة. واجعل كل واجب عادى تم إنجازه بأمانة تحضيراً لهدفك الحقيقى فى الحياة . راقب الذروة وضعها نصب عينيك . ثبت رؤيتك الرائعة على نجم فى سماء الأمل متألق ثابت .

٨ — انتفع بقواك اللاشعورية . فمنابع النجاح تكمن فيها . واعلم إن كنت لا تعلم ، أن أولئك الذين يتحدثون دائماً عن « النبوغ والعبقرية الهاجعة فى داخلنا » لا يعيشون فى الأوهام . فلقد أكد العالم النفسى المشهور ، ولفريد لاى ، أننا جميعاً فى اللاشعور سواء . والنابغة أو العبقرى يختلف اختلافاً بيناً عن المخفق فى أن هذا الأخير مفلس من الموارد اللاشعورية للقدرة .

كن صادقاً مع نفسك :

٩ — الإخلاص . . هذا هو الأساس . وبغير هذا العنصر الأساسى والمبدأ الجوهرى النادر تنعدم الثقة ، ويكون الخطر وعدم الأمان .

إذا كان المظهر أو المنظر ينبئ عن المخبر ، وإذا كان الناس بسيماهم تعرف نواياهم ، كذلك ذات الرجل الحقيقية تدوى وتصلصل فى صوته ؛ وتبدو من خلال عينيه ؛ وتطبع

نفسها على وجهه وسلوكه وهيئته وموقفه واتجاهه ؛ وتبين واضحة فى كل ما يفعل ويقول . أما قيمة الإخلاص فلا تقدر بثمن .

إنك ربما لا تقبل فكر الآخرين ولا توافق عليها ، ولكن مهما تكن مجموعة المبادئ التى تختارها لنفسك دستوراً ، خفياً مستوراً ، فكن صادقاً معها ، مؤمناً بها ، واثقاً فيها . واجعلها لك قدوة حسنة تقتدى بها ، ومثلا طيباً تحتذيه .

١٠ — ثق بنفسك . إننا يجب ألا نخدع أو نغش أنفسنا . ويجب أن نثق بأنفسنا ، وإلا فكيف يمكن أن ننتظر أو نؤمل أن يثق غيرنا بنا ؟

إن قدراً معقولاً من الثقة بالنفس من ألزم اللزوميات ، بل إنها ضرورة لا غنى عنها إطلاقاً .

تخلص من كل أثر للشعور بالنقص . واعتبر نفسك على أقل تقدير مساوياً لأى شخص آخر . واجه الحياة بشجاعة وثبات ورزانة . . والإخلاص كفيل بجعلك محبوباً من الجميع .

إذا وقفت أمام شخص ما قل لنفسك : « إننى لست أقل منك شأناً ، إنك لا تزيد عنى فى شىء » . أما إذا أحسست بنقص أو دونية سواء فى شعورك الداخلى أو فى تصرفك وسلوكك الخارجى فأنت لا محالة هالك مضيع .

١١ — ليس ثمة كالحماس شىء يميز بوضوح الشخص الناجح . . فحين يكون الفرد متحمساً ، يسطع فى وجهه ضياء ؛ ويشع من عينيه بريق ؛ وتتدفق من صوته اهتزازات بها سحر

يخلب الألباب . وهو من ثم لا بد ملفت النظر والانتباه إليه . تجتذب شخصيته القلوب والأفئدة . وتحمل كلماته الإقناع ، فتحمل الغير على الاقتناع .

تعلم كيف تتكلم بوجهك . وكيف تجعل تقاطيع وجهك تعبر عما بنفسك ، وتسجل أفكارك حتى لتجذب الأصم إليك . فالرجل الذى لا يغير أسلوبه فى التعبير أو الكلام قلما يصل إلى الكثير . حتى مباريات كرة القدم إذا كان ينقصها الحماس والحمية لا تعدو أن تكون عملاً ميتاً لا حس فيه ولا روح .

١٢ ـــ اصنع المعروف ، ورد الجميل لأصحابه إذا أردت أن تكون ناجحاً موفقاً . . هذا هو القانون الأسمى فى الحياة .

كن محسناً ، جواداً ، كريماً ، وضع نفسك فى قائمة خدام الإنسانية العظام ، الأمناء ، وسدنتها الأوفياء . هذا هو السبيل الوحيد لثبات النجاح واستمراره . « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » .

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه
فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

اجعل الإلفة والمعاشرة ديناً عليك مستحق السداد . عندئذ ستجد مكانك حتماً بين الخالدين .

ابن لنفسك شخصية فردية ذات نفوذ وذات سيادة كى يكون فى ميسورك خدمة الآخرين . ولا تنتظر رداً أو مقابلاً لما عملت أو أسديت ، فلا حاجة بك إلى الانتظار . لأن كل شيء

مرهون بوقته . وقانون التعويض كفيل بالاهتمام بالأمر .

كن مسرفاً فى الخدمات الودية الخالصة لزملائك . واجعل حياة الآخرين أكثر خصباً وإثماراً، وأوفر حلاوة وعذوبة وأعظم سعادة وهناءة .

ولا خير فيمن ظل يبغى لنفسه من الخير ما لا يبتغى لأخيه

اسع فى كل غداة إلى إطعام جائع ذى مسغبة ، أو مسكين ذى متربة ؛ وإدخال السرور على بائس مكتئب ؛ وبثّ الأمن والسكينة فى قلب خائف خامد الهمة ؛ وبعث الأمل فى قلب غريب ضل طريق الحياة .

هذا هو قانون الخدمة الخيرية ، والتكافل الاجتماعى . . .

وهذه هى المبادئ الإنسانية التى نصت عليها جميع الديانات السماوية . . .

وهذا هو السبيل القويم إلى النجاح .

عجائب الحياة السبع

عند ما يأتى الموت ، ويهمس فى أذنى قائلا :
« لقد انتهت أيامك . . » سأقول له : « لقد عشت فى الحب ولم أعش فى الزمن ! » وإذا سألنى : « هل ستخلد أغنياتك ؟ » فسأقول له : « لا أدرى ، ولكنى أعرف أنى وجدت الخلود فى أغنياتى ! »

« طاغور »

لا بد من الحب فى اتصال الإنسان بالإنسان . فإن هذا الحب هو الوسيلة الوحيدة الممكنة لاستمرار حياة الإنسان !

« تولستوى »

الماضى لا يموت أبداً ، فهو حى فينا . . وهو أقدم مرشد فى حياة الأفراد والأمم . . . وما روح الأحياء إلا مؤلفة من أفكار الأموات .

« جوستاف لوبون »

بحث الناس فوجدوا بعد بحثهم عجائب الدنيا السبع ، قديمها وحديثها . ولكن هذه العجائب السبع لا تزال إلى اليوم غير مطلقة وغير شائعة ، لأنها تتغير مع كل كشف جديد .

وعجائب الزمن الحاضر تسمو دائماً على عجائب الزمن الماضى وتفوقها .

ولكن هناك سبعة قوانين بسيطة للحياة هى فى الواقع عجائبها الحقيقية . وإنها لمطلقة وشائعة ؛ ولا يمكن نقضها أو دحضها بأى حال . ولا يمكن أن نقول إنها حديثة ، ولا يمكن أن تهرم أو تشيخ أو يتقدم بها العمر .

هذه القوانين البسيطة من السهل اكتشافها . والناس جميعاً يجب أن يجدوها إذا ما أرادوا لأنفسهم السعادة .

إننا نستعملها كل يوم . بل إنها تتحكم فينا كل يوم ، وتتسلط علينا كل وقت . حتى إذا ما اعتدنا القوانين الثابتة لمجتمعنا وجمهوريتنا ومصالحنا المشتركة ، إذن لوجدنا أنفسنا قد ألفنا قوانين الحياة واعتدناها . .

إن قوانين الحياة هذه تفوق كل القوانين التى وضعها الإنسان وتبرز عليها . وباعترافنا بها وتسليمنا لها ننتهج خطة الحياة السامية ، السماوية ، المقدسة .

وهذه القوانين إنما تؤدى عملها سواء أكنا نعلم بذلك أم لا نعلم . ولكننا إذا عرفناها ، وتحققنا منها ، واعترفنا بها ، ثم استعملناها مع العلم بصدقها وصحتها ، ستغدو الحياة أكثر سهولة ، وأكثر يسراً ، وتسودنا السعادة جميعاً .

قانون السعادة :

أول قانون من هذه القوانين هو قانون السعادة .

إنني اليوم غير سعيد . . إن عملي مرهق وممل . . ليس لدى ما يستوجب الاهتمام . ولا شيء عندى ذو قيمة أو أهمية . ويبدو لى أن ظلا من السخف والعبث يغطى كل جهد . وأن كل مسعى يبوء بالإخفاق .

مع أن الأمس كان مشرق الديباجة ، صافياً ، لا غيم فيه ولا قر ! . . .

ألم تكن الأرض هى الأرض ، والسماء هى السماء ؟ . .

ألم تكن الأشياء المادية التى كانت على وجه البسيطة بالأمس كالموجودة عليها اليوم ؟ . .

كنت سعيداً بالأمس . إذن فما بالى اليوم مغتمسا ، منكسر الخاطر ، كسيف البال ؟ . .

لماذا أرى جميع رؤاى وخيالاتى مدلهمة ، معتمة ؟ . .

ومالى أرى نهارى كما لو كان ليلا بهيماً ليس له آخر ؟ ..

برز من شعورى على حين فجأة سؤال آخر هو فى حد ذاته جواب على الأسئلة الأخرى التى سبقته :

هل أنجزتُ اليوم كل تلك الأشياء التى قالت لى نفسى — مشيرتى السماوية ، وناصحتى الإلهية — بأنه يجب أن يتم إنجازها ؟ لا ! . .

من المنطق ، سواء أكان صائباً أم مخطئاً ، أن سعادتنا موصولة الأواصر بإنجازاتنا ، التى تتصل هى الأخرى بإمكانياتنا .

إذن فأنا غداً سأكون سعيداً إلى أقصى حدود السعادة . وسأصغى جيداً إلى الصوت الذى يأمرنى بعمل ما ينبغى عمله . . وسأستمع إلى نصحه . . وسأؤدى واجبى على خير ما يكون الأداء . . سأخلق ، وأبتكر . . لأن ذلك الذى أقوم بعمله لا يمكن أن يكون، ما لم يكن لى فيه مصلحة .

قانون العدل :

يغوينى شيطانى فى وقت من الأوقات لأن أقول : « لا عدل ! » إننى لا أبرح أشقى وأكدح أياماً طويلة مملة ، وليالى داجية مضنية ، حالكة الظلمة ، سنين عدة — دون ثمرة وبلا جدوى . وما يجنيه الآخرون من أجور سخية لا يتأتى لى الحصول على مثلها . ومع أن أعبائى أكثر فداحة وأكثر وقراً ، حتى لينوء بها ظهرى ، فإن أعمالى شاقة إلى أبعد حدود المشقة . قاسية ممعنة فى القسوة .

ولشد ما يتملكنى الحزن والألم، وتتشعبنى الهموم، وتتوزعنى الفكر ، حين أرى المكافآت المادية تغمر الذين لم يكدحوا مثلى ، ولم يبذلوا مثل أو نصف ما بذلت من مجهود . فأرفع عقيرتى دون تفكير ،وأصرخ مرة أخرى : « أين العدل ؟ . . لا عدل ! »

وحين يتلاشى صدى صرختى أسمع همساً رقيقاً ليناً من

أعماقى ، من النفس التى فىّ ، عن طريق عقلى : « نعم . . .
ولكنك كوفئت بما اجترحت ، وجوزيت بما اقترفت . ألم تشعر
بالغبطة والسرور يشملا نك أثناء تأدية عملك ، وحين إنجازه ؟
أليس هذا هو الأجر العظيم ؟ . . وعندما يتم أحد الأعمال التى
تقوم بها ، ألم تولد فيك قوة جديدة وينبعث منك عزم جديد ،
وتبدأ فى عمل آخر ؟ . . هل يمكن أن يكون هناك فى الوجود
مكافأة أعظم ؟ . . ألم يكن الأجر مجزياً عادلاً ؟ » .

حينئذ يقتنع وجدانى منطقياً بأن العدل شىء سماوى ،
مطلق . . وأشعر بتلك الهبات ، وتلك العطايا التى قد حصلت
عليها فعلاً لقاء ما أنجزته من أعمال ، وما أديته من واجبات . .
فنحن نأخذ بقدر ما نعطى . أما الذين يخيل إلينا أنهم يأخذون
دون أن يعطوا ؛ فإنهم يحصدون الهشيم الذى يغدو فيما بعد تراباً
تذروه الرياح الساخطة بعيداً . . أو رماداً اشتدت به الريح فى
يوم عاصف .

قانون الكثرة :

كنت أسير يوماً فى جهة ما بالطريق الزراعى ، فرأيت
ما يراه غيرى دائماً فى روحاته وغدواته : حقول القمح المترامية
الأطراف ، التى لا يستطيع البصر أن يدرك مداها . . ومساحات
كبيرة شاسعة لا تحدها حدود من الأرض الطيبة ، بسقت فيها
الأشجار ونما فيها الزرع وكثر الضرع ..

فكرت حينذاك في الملاحات التي لا ينفد الملح منها .. وفى آبار البترول التي لا ينضب معينها . ، وفى البحار والأنهار التي لا يمكن أن يجف ماؤها أبد الدهر . .

مع هذه الصور الرائعة التي استعرضتها فى مخيلتى جاء غيرها : آلاف المصانع ، وآلاف المعامل التي تأخذ تلك الخامات من نتاج الطبيعة ومحصولاتها ثم تحيلها بقوى الإنسان الجبارة ، وبنبوغه العبقرى المستنبط إلى منتجات منجزة جاهزة . وهذه بدورها تمد الإنسان بطعامه ومأواه وطرق مواصلاته ، وأدوات لهوه وتسليته ، وأوقات فراغه حيث يتسنى له الحصول على الألفة والمعاشرة ، وحيث المجال للتفكير فى بحث دقيق أو فحص عميق ، يقود إلى معرفة جديدة .

إن أرضنا فيها كل هذا الفيض الغزير ، وهذه الكثرة الكثيرة المفرطة ، لكل الناس قاطبة . فإذا تسللت مجاعة أو مسغبة—لا قدر الله—إلى جزء من أجزاء الأرض، نجد فيضاً فائضاً من المحصولات فى جزء آخر . وطرق النقل الكثيرة السهلة كفيلة بتسوية الحال . حتى سكان الأرض فى زيادة مستمرة ، وازدياد مطرد ، ولا يزال هناك على الدوام المزيد .

هذا قانون صارم لا يلين من قوانين الحياة . فإذا ما تفهمناه واستوعبناه ، فلن تعوق سموم الشك شرايينا ، ولن تعرقل ميولنا . وما دام هناك كثرة للجميع ، فسنأخذ جميعنا بكثرة . .

قانون العادة :

كثيراً ما نسمع أن الإنسان محكوم بعاداته . وأن الناس عبيد العادة . فنحن نجتاز كثيراً من التفصيلات المعيشية ، كارتداء ملابسنا فى الصباح ، وتناول وجبات غذائنا فى ساعات معينة ، ونتخذ لراحتنا واسترخائنا ومسراتنا أوقاتاً معلومة ، ثابتة ، دون أن نبذل فى ذلك أى تفكير . هذه الأشياء كلها أضحت عندنا بحكم التكرار عادة .

ولكن هذا لم يك إلا قليلا من كثير من عاداتنا . فهناك كثير غيرها ، كثير جداً . وإنها لتلعب دوراً هاماً عظيم الأهمية فيما نلمسه من الحياة . فمن المهم أن نعرف كيف نرحب بالناس ونحييهم . وكيف نلتقى بهم فى أوقات العمل ، وفى المجتمعات .

دعنا إذن ندبر لأنفسنا العادة التى يتعين علينا أن نكونها ، ونعتادها كما اعتدنا غيرها من أشياء فى حيواتنا . إنها بالحق أكثر أهمية لنا وأكثر لزوماً . . وهذه هى بعض العادات التى أرى أنها تستحق منا كل عناية وكل اهتمام . ولقد أفادت الكثيرين إفادة ما كانت لتخطر لنا على بال : الترحيب ببشاشة وبوجه باسم مستبشر ؛ ورؤية جانب الخير فى رفاقنا وأصحابنا ؛ واستشفاف الجمال من خلف حجاب قد يكون فى أكثر الأحيان بشعاً دميماً ؛ والسعى الشريف ؛ والاجتهاد بجد وهمة ؛ وإبداء الحب والإعراب عنه ؛ والتعبير عن السعادة والتقدير .

العادات هى الألوان التى تضع اللمسات الأخيرة على صورة ذاتنا فى الحياة . وما دمنا نريد الصورة جميلة ، إذن علينا أن نستعمل ألواناً نظيفة ، رائقة ، واضحة ، سعيدة .

قانون الحكمة :

الحكمة هدف كل الناس ، سواء أقرروا ذلك بطريق مباشر أم غير مباشر . . لأن الحكمة ضالة المؤمن ، وفيها تكمن السعادة .

والناس فى استطاعتهم أن يكونوا حكماء إذا استعملوا المواهب التى تكمن فى ذات أنفسهم . والمعرفة مهما كثرت أو اتسعت ليست إلا ممراً ضيقاً إذا قارناها بالحكمة ، طريق الحياة الفسيح .

علينا أن نتفهم هذه الأشياء جميعاً بعقولنا وقلوبنا ؛ علينا أن نفهم جيداً ونضع نصب أعيننا : أن الخير لابد أن ينتشر ، وأن الرخاء سيعم الأرجاء ، وأن العدل سيسود ويبلغ حد الكمال ؛ وأن الحب هو القوة السائدة المسيطرة فى الحياة . وأن السعادة جزاء الكد والكدح .

هذه هى الحكمة . . .

كل تلك الحقائق هى التى خلقت الحكماء فى العصور القديمة . وإنها لمعروفة لدى حكماء العصر الحديث .

وهذه الحقائق بسيطة فى غاية البساطة ، واكتشافها سهل

ميسور . كل ما نحتاج إليه هو أن نستعمل حواسنا المادية فى جميع تصرفاتنا ومعاملاتنا مع الآخرين : نستمع إليهم ، ونتحدث معهم ، وننظر إليهم ، ونهتم بهم ، ونتذوق الأشياء التى يستنبتونها لنا من بطن الأرض لنطفىء بها شهواتنا ، ونشعر بالأشياء التى يصنعونها لنا باستمرار لأجل متعتنا ولذتنا .

إذن فلنسجد لله شكراً على تلك الحواس التى وهبها لنا ، وأنعم علينا بها ، وعن طريقها أوتينا الحكمة . ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً . . .

قانون الحب :

الحب . . .

يا لها من كلمة جميلة ، ولفظة مستعذبة ، لا يكاد الإنسان يخطر على باله ذكرها حتى يخفق لها قلبه ، وتهتز لها مشاعره . .

الحب . . إنه وحى وجدانى ، وإلهام نفسى ، وعاطفة لا يخلو منها قلب حساس . .

إنه الهادى إلى طريق السعادة اللانهائية . .

وهو منبع السعادة العظيمة الأبدية . .

صحيح ، أن السبب المباشر لوجودنا فى الحياة هو الحب عن طريق تلك الرابطة المقدسة التى تربط بين قلبين ، وتؤلف بين نفسين . ولقد غذّينا فى أثناء حبونا وفطامنا ، وربينا إلى أن اكتمل شبابنا بوساطة حب والدينا لبعضهما .

إن جهادنا وكفاحنا فى مرحلة نضجنا وبلوغنا كان يحفزنا إليه الحب المتبادل بيننا وبين الجنس الآخر . وما ينتج عن ذلك من حمل ، إنما هو مولد العاطفة الغامضة : حبنا للكائنات البشرية التى تكافح معنا كتفا بكتف لنبنى مستقبلا أكثر جمالاً ، وأكثر حسناً ، وأعظم سعادة .

إن المثل الأعلى الذى فاز وانتصر وأضحى حقيقة واقعة ، إنما الذى مهد السبيل إليه هو الحب الأخوى الذى التمس للبشرية : الحب ، والعدل ، والمساواة ، والحق فى البحث عن السعادة .

إنها سلسلة ليس لها نهاية تلك التى تجلب للإنسان نجاحاً أسمى ، وتقدماً أرقى . أما القوة الدافعة من خلفها جميعاً فهى الحب .

ونحن حين نتحقق من هذه القوة الماثلة ، ونعترف بها ، ثم نعمل معها بقلوبنا ، ستفتح لنا دنى جديدة ، وتظهر لنا آفاقاً جديدة فيها : كل الجمال ، وكل البهاء ، وكل السعادة .

قانون الخلود :

إن الأعوام تزحف علىّ ومعها رهبة طبيعية من النسيان .

هل أنا — من يملك ذلك الأمد القصير من حياة فى جسده — لن ألبث أن أذهب إلى الأبد . . أتحلل وأصير إلى تراب . . إلى لا شىء ؟ . .

لماذا إذن كل هذا العمل ، وكل هذا الكد والكدح ؟ . .
ولم تلك الآمال ، وذاك الطموح ، إذا كان من المحتم على أن أترك هذا كله ، وأرضخ للاّشيئية . . مذعنا للعدم ؟ . .

عندئذ جاءت لمعونتى كل من المعرفة والحكمة . فخمد الشك ، وهدأ الريب . استرجعت لى المعرفة والحكمة ، عن طريق ذاكرتى ، دراساتى فى العلوم . لقد برهنت لى دراساتى فى الطبيعية ، وفى علم الأحياء والكيمياء ، أن ليس هناك خلق أو هدم فى الحاسة المطلقة . إنما الذى يتغير هو الهيئة أو الصورة فحسب . فمن البذرة تنبت الشجرة . . ومن البييضة ينشأ النسل والذرية . . وفى المركبات والأخلاط تتواجد العناصر . . وهكذا الحياة مجرد تغيير دائم مستمر للصورة .

وكذلك الحال فى الفكر ، وفى الإلهام ، وفى الأشكال التى يستنبطها الفن . فروح الفنان أو نفسه التى فى عمله المنجز هى بكل تأكيد كالأشياء التى نسميها المادة . ذلك الجزء من نفسه له صورة قابلة للتغيير . إذ يأتى فنان آخر ويرى روح الفنان السابق فى العمل فيدمجه فى عمل من أعماله ، وبذلك يخلق صورة جديدة .

وهكذا تسير العملية على هذا المنوال إلى ما لا نهاية . . أشكال تتغير على الدوام وباستمرار . ولكن بحالة أكثر صفاء ، وأكثر تنقيحاً . . ومستوى الصورة الجديدة دائماً أعلى من التى قبلها .

يجب أن نعرف أيضاً من هذا القانون أن الإنسان إذا مات فإن جسده — كما يبدو لنا — هو الذى يبلى ويفنى ويلحقه العدم . أما روحه فتبقى خالدة تشرف من عليائها على ما قام به صاحبها من أعمال وآثار تجدد ذكراه . ولسوف يخلد اسمه خلود الزمن ، ويظل ذكره ما دامت الأرض أرضاً والسماء سماء مقروناً بالثناء والإكبار .

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

لاتبدد قوة فكرك

لا شيء جميل أو قبيح ، ولكن التفكير يجعل منه كذلك .

« شكسبير »

أفكارك تجلب إليك قوى من الخارج من ذات النوع الذى تختزنه فى نفسك .

« راسكين »

فى كل إنسان قوة مفكرة عليه أن يفسح لها مجال التفكير .

« ماردن »

إذا كنت قد أديت للمجتمع أية خدمة ، فالفضل فى ذلك للتفكير فى صبر وتؤدة .

« سير إيزاك نيوتن »

إن عُشر القدرة التى تبددها فى التفكير الطائش ، العقيم ، إذا أنت وجهتها بتعقل وبفطنة وإدراك إلى نواحى الصحة والسعادة والنجاح ، كنت إنساناً مختلفاً تمام الاختلاف . فهذا التبديد من الأمور الخطيرة . وإنى لا أذكر أن هناك إنساناً بلغ

تمام الفكر وكماله وقوته التى يستحقها أو يستأهلها بحق . حتى ولو كان هذا الإنسان مثل توماس إديسون الذى لم يستعمل من خلايا مخه أكثر من ٧٥٪ — كما قرر العلماء — فالإنسان إلى الآن لم يدرك الاستيعاب الكامل ، والفهم الصحيح لقدرة فكره .

والأفكار تأتى وتروح بسهولة عظيمة . بل إنها تخطر وتسرح بسرعة فائقة . حتى إننا إذا تعجبنا فى وقت من الأوقات لأمرها ، وتساءلنا أين تذهب هذه الأفكار ، ومن أين تأتى ؟ لتملكتنا الحيرة من أمر سرها ، ونعود أدراجنا مرة أخرى إلى تيارات الفكر التى تعودت عقولنا الانسياق معها عن طريق العادة راضية مرضية .. قانعة بالاعتقاد أن هذى الأسرار يعجز عن تفسيرها الإنسان ، وليس يدرك كنهها إلا علام الغيوب .

ثم إن الحياة حركة دائبة ؛ والفكر جزء من الحياة ؛ والحياة لا يمكن أن تقف ساكنة هادئة بأى حال .

وهناك من تيارات الفكر ما لا يمكن أن يصدها أو يعوق سيرها أى سير غامض . . تيارات تشق طريقها خلال تخوم وحدود يستحيل اختراقها . . إنها هى التى تولج كثيراً من الناس فى متاهة من الفكر يشعرون فيها بعجزهم عن ضبطه ، وضعفهم فى التحكم فيه ، فيولون عنه مدبرين .

يجب علينا أن نفكر . أما الذين يخفقون فى توجيه طاقة فكرهم تجاه الأعمال الإنشائية والبناءة ، فسرعان ما يجدون أن

هذه القوة تنصرف من تلقاء نفسها إلى الأعمال الهدامة ، المخرِّبة.

لقد كان فى كل عصر من العصور عقول لم تقنع بالانسياق مع تيارات الفكر العامة ، الشائعة . فانفصلت عن الجمهور ، وانسحبت وحدها فى مجريات جديدة . أما عقولنا ، التى استمالها التحوّل من أسلوب التفكير الذى اعتدناه ودربنا عليه ، فقد اقتفت آثار هؤلاء القادة ، وحذت حذوهم ، وانساقت مع تيارات الفكر الحديث .

قد يسأل البعض : « ما هذا الذى نسميه فكرا ؟ » ويلتمسون من أنفسهم الجواب . كانت التراكيب العجيبة لمخ الإنسان تباشر عملها من قياس ، ومن وزن ، ومن مقابلة للحقائق المعلومة إلى أن قرر الوعى أو الوجدان أن الفكر قوة محركة ديناميكية ذات قيمة تفوق الحصر — النتيجة لتقديرات معينة لحركة أثارتها القوى الخارجية فى التركيب العضوى .

والإنسان بطىء، متمهل فى الكشف عن كيفية انتفاعه من قوى الطبيعة الهائلة . ولكن حين تسترعى انتباهه القدرة التى تعبر عنها تلك القوى وتظهرها — ثم يبدأ يفكر كيف يجعل هذه القدرة تعمل له ولغيره — فلن يطول به الزمن حتى يكتشف لنفسه سبيلا .

لقد كانت هناك أعمال عجيبة منذ الأيام التى كان فيها الفلاح يحسب أنه من الضرورى وضع حجر فى طرف من زكيبة

القمح التى يحملها فوق ظهر حماره لكى يحفظ توازن القمح فى الطرف الآخر . إلى أن جاء العبقرى الذكى الذى اكتشف فكرة اعتبرت حينذاك من الفكرات النيرة ، المشرقة . هى أن الحجر لا لزوم له بتاتاً ، والقمح يمكن وضعه فى كل من طرفى الزكيبة . .

لقد كانت بالحق خطوة جريئة نحو التقدم . ونحن لا يمكن أن ننجح أو نتقدم بطريقة أخرى غير توالى الخطوات وتعاقبها . ولكننا يجب أن يكون لدينا استعداد للاقتناع ، والتساهل ، والتسامح ، إذا نحن أملنا نجاحاً ورجونا تقدماً .

إن الشلال ، الذى تبددت قدرته خلال جميع العصور ، حين كان الإنسان يجهل المنافع والمزايا التى كان يمكنه أن يستغلها منه ، قد استغلت أخيراً لتمده بالثروة والسعة والراحة والرخاء والسهولة واليسر. فهو يسع كل هذا وأكثر من هذا .

والبخار ، الذى كان يرفع أغطية الغلايات عند كثير من الناس دون أن يثير فضولهم ، اجتذب أخيراً انتباه عقل رفض أن يطلق الفكرات التى أوحى إليه بها أو يتركها تتفرق بدداً ، إلى أن وجد هذا العقل وسيلة حوّل بها للنفع تلك الطاقة المبددة ، الضائعة . وكانت النتيجة أن القدرة التى كانت تلهى نفسها وتسليها مع مثل هذه السخافات المرحة كرفع أغطية الغلايات استغلت لتقوم بالعمل ، باعتدال فى بادئ الأمر ، حتى أضحت للإنسان أكثر من يده اليمنى ، ومكنته ولا تزال تمكنه

من إنجاز أشياء لم يحلم بمثلها جيمس وات .

والقوة المائية ، بضجيجها وعجيجها ، انتزعت اهتمام الإنسان وحملت إليه الأنباء السارة ، والبشائر الطيبة البهيجة عن منافعها . مضافاً إليها قدرة البخار المتسللة ، الزائفة ، المراوغة ، صنعت الوسيلة التى لا تزال إلى الآن من أكثر الأعمال العظيمة غرابة ، ألا وهى الكهربا . تلك القدرة اللامنظورة السرمدية ، غير المحدودة ، التى أذعنت واستسلمت لزحف تقدم الإنسان وسير نجاح البشرية قدماً إلى الأمام حتى باتت أداة الإنسان وعدته التى لا غنى له عنها .

وفى هذه الحقبة من الزمن ، كما لم يكن من قبل ، تحول انتباه الإنسان إلى قدرة أكثر هدوءاً ، وأكثر سكوناً ، وأكثر تسللاً وزوغاناً . هى أشبه بتلك القدرات التى تعلم الإنسان كيف يستعملها ويستخدمها . . وإنه ليبدد طاقاتها ، ويسرف فى تبديدها خلال عصور لا عد لها ولا حصر — هى قدرة الفكر .

هذا الفكر هو الذى أتعب الإنسان وأجهده . وأشقاه وأنهكه . . وأضناه وعذبه . . هو الذى قاده إلى موارد التهلكة ، وأدى به إلى المخاطر والمشاكل والصعاب . . وهو الذى سما به إلى عالم الخيال . . وارتفع به إلى دنيا الأحلام ، حيث تحققت أعز أمانيه — ثم استفاق ليجعل من أحلامه حقائق واضحة صريحة . .

لقد كان لعنة من أسوء اللعنات ، وبركة من أعظم البركات. لقد كان نقمة ، وكان نعمة . . إنه جزء من ذات نفس الإنسان ، وطاقته القلقة ، المتبرمة ، التى لا تكل ولا تمل ، والتى لا تخمد ولا ترتوى ، والتى تتدفق على مخه إلى أن يسعفه لا شعوره ، ويرفع عنه الضغط والمجهود ، ويسمح له باستعادة ذاك التوازن فى مراكز العصب التى تمكنه من تحمل التضارب والتناقض المستمر مع الفكر ، والنشاط المرافق له الذى يستحثه إليه .

ويسأل الإنسان السؤال نفسه الذى سأله من قبل حين وقف وجهاً لوجه مع القدرة المبددة : « ما الذى يمكننى أن أفعل بها ؟ . . » ، « كيف يمكننى أن أسخرها لخدمتى ، وأستخدمها لمنفعتى ؟ » . ومرة أخرى تشرع آلات المخ فى العمل على إيجاد إجابة للسؤال . وشيئاً فشيئاً تتجمع فى عقول أولئك الذين درسوا باستفاضة معرفة الفوائد لهذه القدرة الشائعة المألوفة ، والتى أسيء فهمها . . ومن ثم تنتقل إلى العامة . وهؤلاء بدورهم هم الذين يقولون لك إن تبديد الفكر فى الماضى يشمل التفكير الباطل الذى ليس له غاية ولا هدف .

وفجأة يسأل الرجل المتوسط نفسه عما يفكر فيه . يقول أحدهم : « فيم كنت أفكر ؟ . . إننى أعرف بالجهد وبكل صعوبة خليطاً من الأشياء ؛ منها الطيب ، ومنها الردىء . . منها الحسن ، ومنها القبيح . . ومنها ما بين ذلك . . ما أشق عملى

وما أصعبه ! . . كم أكون مغتبطاً جذلاً حالما أفرغ منه . . ما أغبانا وما أحمقنا ! . . هل الحياة وما فى الحياة سوى سلسلة من المتاعب والمضايقات؟ »

ويقول آخر : « إننى أفكر فى روعة الدنيا وما فيها من الحسن والجمال والرواء ! . . فتنة وبهجة هى الدنيا . . هذه الحياة التى تمدنى بتلك الفكرات الجميلة ، وبتلك العواطف النبيلة ؛ وتلك الإحساسات الرقيقة ؛ وهذه النسمات العليلة ؛ وهذا الهواء النقى المنعش ؛ وهذه المناظر البهية الرائقة ، المونقة الرائعة ! . إننى كنت أفكر فى أنى أريد دواماً أن أملأ قلبى وروحى بتلك العواطف العظيمة ، وتلك المشاعر النبيلة ، وأحتفظ لنفسى بها . . كم أود لو أكون أهلاً لهبة الحياة التى لاتقوّم بثمن ولا تقدر بمال » .

وهناك عقول قليلة تقف عند غاية . والشخص المتوسط الذى ليست له خطة فى الحياة ، إنما يقف حائراً متردداً فيما يريد . وهذه الحيرة تجلب له بلبلة وارتباكاً ذهنيًّا . . وهذا الارتباك الذهنى يسمح بالدخول لكمية من الأفكار الهدامة ، المخربة ، التى تجعل من الإنسان شخصاً بائساً ، عليل النفس ، مخفقاً خاملاً .

والناس توّاقون بطبيعتهم إلى الأشياء التى تجلب لهم أغلى مسرات الحياة ، وأشهى هباتها . ولكنهم خائبون فاشلون فى أن يفهموا أو يدركوا أن حلقة الوصل بتلك القوى إنما ترقد فى ذات

أنفسهم . وأنهم دائمو البحث عنها خارج حدود ذاتهم .

والرجل الذى ليست له غاية شريفة قوية أو غرض نبيل عظيم فى الحياة ، إنما يقطع عن قصد وتعمد « خط الاتصال مع القدرة » ، ويحرم نفسه متع الحياة ومسراتها التى قدمت إليه دون مقابل .

ثم إن الفكر يتبدد بتركيزه على غرض باطل لا يجدى نفعاً . . والطاقة تتبدد بنضالها فى إنجاز فكرات وتنفيذها بأساليب ثابتة من الفكر لا تقدم شيئاً يستحق المجهود .

إننا نفكر فى أنه ينبغى علينا أن نعمل كما عمل غيرنا . وهكذا يحكم الفكر أفعالنا ويسيطر عليها . إننا نقف لنتأمل أو لنحسب كم فقدنا من طاقات فكرنا وطبيعتنا ، وكيف يمكننا أن نستعملها على خير ما يكون الاستعمال .

إننا نفكر فى أننا يجب أن نكون فقراء ، على كثير أو قليل من التعس والحزن والاكتئاب . لأننا كنا كذلك ، فى حين أن كل من عدانا يكافح من حولنا . إن من الناس من يسمح للماضى بأن يلعب دوراً وخيم العاقبة فى حياته بدلا من أن يزود نفسه منه بمثل طيب يعاونه على توجيه نفسه ، ويساعد على إرشاده فى المستقبل . ومن الناس من يخفق فى التفكير لنفسه ويتسلط عليه كثير من شئون الغير : ما الذى أتى به آباؤنا وأمهاتنا ، وما الذى أنجزوه من أعمال ؟ . . ما الذى يفعله وقومنا ، وما الذى يقوم بإنجازه زملاؤنا ولداتنا ؟ . .

لماذا ترضى لنفسك بأن تقف فى صف واحد مع مثل هؤلاء المخفقين ، والتعساء ، والحاملين ؟ . .

إن للفكر براعة فائقة ، ومقدرة عجيبة فى إنتاج ما يقدمه . ومن العجيب العاجب أننا ونحن نعرف هذا عن تجربة ، نسمح لأنفسنا بالاستمرار والمثابرة فى التفكير بإلحاح فى أشياء لا نحبها ولا نريد أن نقوم بعملها . بينما يكون الفكر داول الوقت جاداً فى البحث عن بعض وسائل يعبر بها عن نفسه تعبيراً مادياً .

إن الأحلام العقيمة الفارغة ، والأوهام التافهة ، لن تنجز شيئا البتة ؛ ولكنه التركيز القوى الفعال المتبوع بالحركة هو الذى يحمل قدرة الفكر على العمل الذى نرغب فى تأديته . أما أن نجلس ونفكر أننا فى حالات وصفات من المثل العليا فهذا سهل لو كان يجدى . ولكن يجب علينا ألا نفكر فحسب ، بل ينبغى علينا أن نعمل إذا أردنا تحقيق مثلنا العليا . فعن طريق تحويل الطاقة إلى أنماط وأشكال أخرى يجد الفكر تعبيراً . وبإيجاد التعبير يتم العمل .

والفكر سريع الحركة خفيفها . وحركاتنا البطيئة المتأنية لا يمكن أن تتابعها أو تلاحقها بأى حال.. ولكن فى إمكاننا أن نرتب بداية . وبعمل القليل الذى يرقد فى قدرتنا ، وبإضافة القليل إلى هذا القليل ، يوماً بعد يوم ، عن معرفة ودراية ، يمكننا أن نحسن بالتدريج قدراتنا التى كانت فيما مضى خاملة

هالكة ، مضيعة . فالأشياء العظيمة إنما تنتج دائماً من وصل أشياء صغيرة ببعضها وصلاً بارعاً ، وضم شملها بمهارة وإتقان . وباتخاذنا الخطوة الأولى نحصل على القدرة التى تساعدنا على اتخاذ الخطوة الثانية . وإذا كانت لدينا الفكرة النافذة الصائبة عما نرغب أخيراً فى إنجازه فستبقى العضلات أمينة على واجباتها بوساطة التركيز إلى أن نبلغ الغاية التى نرجوها ونأملها ، وندرك الغرض الذى نستهدفه .

هناك طاقة كبيرة وفيرة أكثر مما نظن تتبدد فى المحادثات العقيمة ، وفى ذرع الغرفة ذهاباً وإياباً دون جدوى . وهذا الإسراف فى الطاقة الميكانيكية هو النتيجة الحتمية والتى لا مفر منها لتبديد الفكر .

وإن الرجل الذى يعمل على تحقيق أحلامه ، إنما هو الذى يركز أفكاره على غرض بعينه . ولا يسمح لنفسه أن يحيد أو ينحرف عن هذا الغرض حتى تتحقق مثاليته . إنه ليصون طاقته ويوجهها نحو هدف معين كالهداف الذى يركز انتباهه على الهدف عاملاً على إصابته . إنه يترك عقله لتنوع الفكر واختلافاته ، ولكنه لا يسمح لأى إيحاءات مضادة أو عكسية أن تعوق أثر تفكيره الذى ينويه أو الذى صمم عليه .

إننى لا أقصد أن يكون الإنسان وقوراً مترمتا أكثر من اللازم . وإنما يجب أن يتخذ لنفسه لحظات من اللهو البرىء يجدد فيها نشاطه بالتسلية والرياضة لكى يوازن بين حياته وراحة

عقله ، حتى يمكنه فى كل وقت وفى كل حين أن يكون مالكاً لعقل متزن نشيط متيقظ مستنير ؛ لا عقل مبتذل تافه ، ممتهن من فرط التعب والإجهاد .

إنها ليست حياة إنكار الذات هى التى أدافع عنها ، وأدعو إليها ، ولكنها الحياة القويمة ، المستقيمة .

وإنك إن لم تكن درست علم النفس دراسة وافية ، فسيكون لديك فى الوقت الراهن فكرة غامضة غاية الغموض ، مبهمة ممعنة فى الإبهام عن عظمة عقلك ووظائفه .

وليس من الضرورى أن تظل عاجزاً ، تعيساً ، عديم الكفاية .

آمل أن يكون فى حديثى هذا حافز ينبهك إلى فهم إمكانياتك وتحقيقها ، ويستفزك ويستثير همتك إلى العمل .

لا تلم حظك

الرجال السطحيون يؤمنون بالحظ ، والرجال
الأقوياء يؤمنون بالسبب والنتيجة .

« إمرسون »

إذا كنا ناجحين اعتقدنا أن التوفيق قد جلبه الجد
والقدرة ، فإن أخفقنا قلنا إن المسألة مسألة حظ .

« ماندر »

الذى يجىء فى المرتبة الثانية بعد اقتناص الفرصة ،
معرفة طريقة الانتفاع بها .

« دزرائيلى »

الفرص من طبيعتها النفور والابتعاد ، تمر مسرعة ،
ولا يمكن لسوى الرجل الحازم أن يقبض عليها .

« ماردن »

إن فى معظمنا لأثارة من خرافة . فنحن لا نخاف من
الرقم ١٣ ولا نتشاءم منه ؛ وقد نمر تحت سلم دون أن ينتابنا
فزع ، أو يلم بنا وجل ، أو نحس بشىء من الرهبة ؛ وقد
لا يزعجنا رؤية قط أسود اللون يعترض سبيلنا . ولكننا إذا تأملنا
حياتنا وأنعمنا النظر فيها وفى أحوالها ، ودققنا البحث فى مسالكها

وجدنا أننا نعزو ا كثيراً من الأشياء إلى حسن الحظ أو سوء الحظ .

ليسمح لى القارئ الكريم أن أبين بوضوح فى بداية هذا الفصل أن كل شىء خاضع لقانون. فقد يكون من سوء حظك أن تولد وليس فى فمك ملعقة من فضة ، فيكون لديك معونة مالية تحقق بها ما تشتهى ، أو يكون فى حوزتك الثروة التى لا غنى عنها فى تنفيذ أو إنجاز أشياء معينة تحتفظ بها فى ذاكرتك . . ولكن ، حتى هذا مطابق لقانون .

فمن المشاهد أن خمسة فى المائة على وجه التقريب ممن يلجون الحياة العملية بالاشتغال فى الأعمال الحرة لحساب أنفسهم — ناجحون فى أعمالهم ، موفقون فى شئون حياتهم . وليس معنى هذا أن الخمسة والتسعين فى المائة الباقين تعساء أو أشقياء أو سيئو الحظ. وإنما معناه أن الغالبية الساحقة لم يفهموا بعد القوانين التى وضعت لتكون أساساً للنجاح . فصادفتهم فى الطريق عقبات كأداء لم يستطيعوا اجتيازها أو التغلب عليها ؛ أو أنهم أخفقوا فى دفع الثمن المناسب من الكد والكدح ؛ أو أنهم اضطروا أو أجبروا على اختيار نوع العمل الذى زاولوه .

وأنت لكى تفهم القوانين التى يقوم عليها نجاح الأعمال ، يجب أن يكون لديك إدراك بسيط لقواك الذاتية ، وكيفية توجيهها .

يقال إن رجلاً ممن يرأسون أحد المشروعات العظيمة

الناجحة ، وكان يعتبر من أغنى أغنياء العالم ، أخفق فى أول مغامرة قام بها . فطفق يدرس الحالة على حقيقتها ويتفهمها بعناية واهتمام . وعندئذ وجد نفسه شرّاء بارعاً أكثر منه مديراً كفءاً أو رئيساً ماهراً . فعاد مرة أخرى إلى نفس العمل الذى سبق أن أخفق فيه بعد أن استخدم موظفاً حاذقاً للقيام بإدارة العمل ، وتفرغ هو لعملية الشراء . فحقق بذلك نجاحاً باهراً .

الآباء الموسرون :

من الخطر فى بعض الأحيان أن يولد المرء من أبوين موسرين ، أو أن ينشأ كما ينشأ « أولاد الذوات » أنيقاً رقيقاً مدللا ، لا يعرف الضنى ولا الكد ولا الجهد . فخلال الحياة الناعمة ، المترفة ، التى ينشأ الطفل فيها ، ربما تتكون فيه عادة البحث عن أساليب أقل مقاومة وأقل احتمالاً ، فيعتاد السهل اليسير من الأمور ، ومن ثم يتحول إلى شخص تافه ضئيل ، فيه ميوعة وعدم اكتراث . وعلى النقيض من ذلك نجد أن أكثر المشاهير والعظماء سواء أكانوا رجالاً أم نساء نشئوا فى أسر فقيرة رقيقة الحال . فبمجابهة الصعاب ، وبمقاومة الشدائد يمكن أن تتكون الأخلاق وتنشأ القوة .

إن الأثرياء الذين لا يجدون فى حياتهم من الصعاب أو الإحن إلاّ القليل ، ولا يصادفون من العقبات إلاّ النزر اليسير ،

مع ما يبدو عليهم من مظاهر النعمة والجاه ، وما يغمرهم من أسباب الترف والنعيم مما لم يدفعوا له ثمناً من الجهد والنصب أو الكد والعرق ، لا يلبثون أن يدركهم العجز والوهن . أما الرجل العصامى الذى كوّن نفسه بنفسه ، فمن حقه علينا أن نقدّره حق قدره ، ونحترمه كل الاحترام ، وننظر إليه نظرة التجلة والإكبار .

هل فى الدنيا شىء اسمه الحظ ؟

حتى اللعبة التى نطلق عليها اسم « البخت » كل شىء فيها خاضع لقانون . فأنت مثلا إذا تعهدت بسحب « الكومى » من باكو « الكوتشينة » ربما يحدث أن توفق فى ذلك فى أول مرة . ولكنك إذا كررت المحاولة بعد ذلك مراراً وتكراراً مئات المرات ربما تمنى بالإخفاق وتبوء بالخسران . وبيوت القمار قادرة على تحديد أرباحها بكل دقة حسب ما لديها من عملاء كثيرين . ولا تعتبر هذه « فرصة » صادفت النادى . لأن القائمين عليه يعرفون بالضبط أن دخلاً أو ربحاً معيناً فى كل شهر أو فى كل سنة يتحقق من قدر معين من اللعب . حتى لقد يأتى أحد الناس فى إحدى السهرات ويكاد يستنفد موارد النادى ، ولكن حين يأتى وقت التقدير النهائى تكون النتيجة ربحاً للنادى وخسارة للاعب .

وهكذا الحال ، فى كل الأحوال ، مع جميع ما فى الحياة

من شئون وأشياء .

وإذا كانت أعمارنا قصيرة الأمد ، ولنفرض أنها أسبوع أو شهر مثلاً ، فالذى نعبر عنه بالحظ يمكن أن يلعب دوراً . ولكن الحقيقة أننا نعيش مدة طويلة ، فيها الكفاية ، تسمح لقانون النسبة لكى يحل المسألة بأن يقصى بل يحذف الحظ من حيواتنا . فإذا كانت جهودنا كما ينبغى أن تكون ، وإذا ثابرنا وصبرنا ، فإن قانون النسبة هذا سيعمل لمصلحتنا دائماً ، وسنكسب باستمرار ، وسنصل حتما إلى غايتنا وأهدافنا فى الوقت المناسب .

وإننا لنجد رجالاً ونساء يعملون بجد وهمة بدون كلل أو ملل ، ومع ذلك لا يبدو عليهم أبداً أية بادرة من بوادر الفوز أو النجاح . وهذا ناشئ عن أنهم — ولو أنهم كانوا بالحق صادقين ، أمناء ، أوفياء — لم يستعملوا عقولهم بالطريقة السوية كما ينبغى ، فأخفقوا فى الاستجابة أو الإذعان إلى القوانين العقلية الكائنة فى النجاح . وربما كان افتقارهم إلى النجاح منشؤه : الافتقار إلى الثقة والإقدام ؛ أو خوفهم من المسئولية ؛ أو ربما كان مجرد احتياج إلى تفهم أنفسهم وقوى ذاتهم . ولكن من المؤكد أنهم كانوا بعيدين كل البعد عما تتطلبه منهم هذه الحياة الكبيرة . وأن عائقاً كان يعوقهم عن إدراك بعض الأصول أو الجوهريات التى تحتاجها مستلزمات المعيشة فى هذا الوجود ، وإلا لكانوا من الناجحين .

حينما كنت فتى يافعاً ، عملت بوظيفة كتابية فى إحدى

المؤسسات الكبيرة المعروفة فى القطر بتجارة الحديد . وبعد سنين عدة ساقنى حب الاستطلاع إلى زيارة نفس المكتب الذى كنت أعمل فيه . فوجدت عدداً من نفس الموظفين يكدحون ويسيرون الهوينا فى نفس العمل الذى كانوا فيه منذ أن كنت معهم . إنهم عبيدو العادة ، منساقون على غير هدى ، مدفوعون إلى غير غاية ، خائفون من الإسراع فى السير ، ومن محاولة بعض أشياء تخالف أو تغاير خط سيرهم فى العمل . والتقيت برجل فى نحو الستين من سنى حياته كان يعمل محاسباً طول حياته . وكان مثال الأمانة والاستقامة مكث فى نفس المؤسسة التى يعمل بها أكثر من ثلاثين سنة . ولكنه كان فى أشد الحاجة إلى الإقدام والثقة بالنفس، لقد عُرض على هذا الرجل خلال هذه المدة الطويلة وفى مناسبات عديدة ، وظائف أخرى ، منها وظيفة مدير لبعض فروع الشركة . ولكن خوفه من المسئولية كان السبب دائماً فى رفضه الترقية . لقد كان خائفاً من نفسه ، عديم الثقة بها . فخاف من انتهاز فرصة كانت ستقوده حتماً إلى النجاح .

ادرس مقدراتك :

ثم إننا نجد أناساً يزاولون أعمالاً لا تناسبهم البتة ، ولا تليق لهم ، ولا توافق مزاجهم . وهذا يتعارض بطبيعة الحال مع أى نجاح ، ويحول دون بلوغ أى تقدم . مثل هؤلاء الأشخاص

كان عليهم أن يعملوا لأنفسهم قائمة جرد ، ويرسموا لأنفسهم خطة يسيرون عليها . وكان عليهم أن يدرسوا قدراتهم وكفاياتهم ومؤهلاتهم قبل شروعهم فى امتهان العمل الذى يمارسونه . .

وعلى المرء أن يدبر أموره ، ويقرر مصيره ، ملاحظاً ماذا عسى أن تكون الحرفة أو المهنة التى ينبغى له أن يباشرها ، وذلك بالشروع بالبدء أولاً فى التفكير فيما يفضله عن غيره ، وفيما يحبه أكثر من سواه . ومن ثم يعمل الفكر ليرى إذا كانت له الصفات اللازمة التى تؤهله لهذا العمل ، وإذا كان يصلح لهذا العمل أو لغيره .

وكثيرا ما يكون الوالدان مسئولين عن البداية الأولى التى قد تكون فى أغلب الأحيان بداية مخطئة . فالأب يريد أن يكون ابنه طبيباً أو محامياً أو غير ذلك . فيشرع فى تأهيله كى يجعل منه طبيباً أو محامياً بصرف النظر عما إذا كان لدى الابن ميل طبيعى للدخول فى مثل هذه المهن .

إننى أعتقد اعتقاداً جازماً أن خمسين فى المائة من الأطباء الذين تخرجوا فى كليات الطب لم يفتحوا عيادات ولم يزالوا المهنة . وأن نصف هؤلاء زاولوا أعمالاً أخرى بعد أن أمضوا سنة فى التمرين . فيالها من كمية كبيرة لا يستهان بها تلك الطاقة المبددة ، وذاك الوقت الضائع هباء .

إن الأب إذا رغب فى مساعدة ابنه ومعاونته على توجيهه الوجهة الصحيحة فى السبيل السوى إلى مستقبل حياته ، عليه

أن يقوم بدراسة ابنه دراسة دقيقة . فيجعل هذه الدراسة هى التى تقرر مصيره ، وتبتّ فيما عساه يكون أصلح له وأجدى ، بدلاً من أن يتبع هوى نفسه فيضل سواء السبيل .

هل يعبر عن الإخفاق أو الفشل الناشئ عن سوء التصرف فى هذه الأحوال « بسوء الحظ » ؟ كلا . .

ادرس نفسك دراسة عميقة :

إنك إذا استرجعت وتأملت فيما مضى من أيام عمرك ، ستجد أنك اجتزت عدة مناسبات ، ومررت بعدد من الفرص لم يكن لها أى اتصال وثيق بذاتك اللاشعورية ، وحصلت فى الغالب على ما نطلق عليه « الشعور » أو الإحساس عند سنوح هذه الفرص فتقتنع بها وتقبلها . أما ما نسميه « التأثر النظرى » مما اعتاده بعض جامعى المال وطالبى الثراء ، فمعناه بكل بساطة أن هؤلاء الناس على صلة وثيقة بما استقر فى أعماق ذواتهم سواء أكان ذلك شعورياً أم لا شعورياً . وباستخدام هذه القوى مراراً يغدو هذا الطور من عقولهم أكثر كمالاً وأعلى مستوى .

ولا يخفى أن هناك دائماً عنصر « المصادفة » الذى يرتبط بالحياة ارتباطاً وثيقاً ، ولكنه ليس الحظ . ونحن إذا اقترفنا بعض الأخطاء أو تردينا فى مواطن الزلل ، كما يحدث أحيانا ، فمعنى هذا بكل بساطة أننا إما أن نكون عديمى الدراية بالقوانين الجوهرية التى تحكم هذه الأشياء وتنظمها ، وعلى جهل تام

بمبادئها ؛ وإما أن نكون قد ارتكبناها عامدين متعمدين رغبة منا فى تأدية عقاب يفرض علينا ، أو نيل جزاء نستحقه .

إننا كثيرا ما نسمع أن « فلانا صادفه حسن الحظ » ولكنى أرى أن هناك دائماً ثمة شيء خلف هذه الحركات التى تبدو فى الظاهر أنها موفقة سعيدة :

فإذا آلى المرء على نفسه أن ينجح ، وأن يجعل الجهد وراء رغباته ، وكانت له روح طيبة ، ونفس عالية ، فإنه سينجح . مثل هذا الشخص بدلاً من أن يسمح للإخفاق أن يثبط من همته ، أو يوهن من عزيمته ، يجعل منه درساً يستفيد منه ، ويواصل السير حثاً بخطى ثابتة ، باستمرار وبغير انقطاع .

لقد ذاق أغلب الأثرياء والموسرين فى بعض فترات من حياتهم مرارة الإخفاق ، ولكنهم كانوا فى كل مرة من مرات الإخفاق يستفيدون الكثير من الخبرة والتجربة ، إلى أن جاء اليوم الذى عثروا فيه على الشيء الصائب ، وانكشف لهم ما ليس فى حسبانهم ، فأتموا شيئاً يستوجب الاهتمام ويستحق الكدح . وقانون النسبية سينتج وسيؤتى ثماره وسيعمل على مساعدتنا ، وسيعيننا على الحياة إذا نحن داومنا على السير فى العمل بجد واستمرار .

وأنت إن كنت مخفقاً فى أمر من الأمور فلا تلق تبعة إخفاقك على « الحظ السيئ »، وإنما التبعة تقع ثمة على خطأ ترديت فيه . وتأكد أن إخفاقك قد يكون سببه هو حاجتك

إلى فهم أو خبرة أو إدراك أو فطنة . وقد يُعزى إلى توافق ذهني مخطئ .

والجهد الموجه توجيهاً حسناً إيجابياً إلى الطريق السوى مآله بكل تأكيد إلى النجاح والتوفيق . فأنت سيكون لديك بطبيعة الحال محصول من القمح لا من الشعير إذا كنت قد زرعت قمحاً . . وليس للحظ دخل فى هذا .

كم من أناس يأملون وينتظرون بفارغ الصبر أن يتغير حظهم فى يوم من الأيام . وهيهات أن يغير الأمل والانتظار من الحظ شيئاً . إنما التغيير أو التبديل يجب أن يحدث فيك أنت . . فلا تجلس فى انتظار « الخير » يأتى ساعياً إليك . بل يجب عليك أن تسعى إليه أنت .

علينا جميعاً أن ننتهز الفرص فى حياتنا . وخير لنا أن ننتهز فرصة وإن فلتت منا ، من أن نقف ساكنين أو أن نركن إلى الراحة والدعة . ولا يوهنن من همتك أو يثبطن من عزمك أن تسقط أو تزل أو تخفق . بل انهض من كبوتك وسر قدماً ، وصابر وثابر واستفد من التجربة .

إن عظماء الرجال لم ينتظروا الفرص لتقف أمامهم وتعرض نفسها عليهم ، إنما هم الذين قبضوا عليها وتشبثوا بها وهى مسرعة أمامهم ، وسخروها لقضاء حاجاتهم .

يبدو على معظمنا فى كثير من الأحيان أنه ليس أكثر جرأة ولا أكثر عزماً من طفل يتعلم المشى . فيكبو من وقت إلى

آخر أثناء محاولته تعلم فن التوازن . ولكنه ينهض من كبوته ويعيد الكرة مرة بعد مرة إلى أن ينجح .

إذن لا تذر أحداً يتبرم أو يبدى تذمراً من أن الأقدار تخونه أو أنها تعمل فى بعض الأحيان ضده ؛ ولكن ، يخلق به حين يكبو أو يتعثر ألا يتطير ولا يتشاءم ، فالرجل المتشائم لا نفع له ولا جدوى منه . فهو على التحقيق مخفق فى حياته . وإن حيوانا أليفاً لأجدى فى الحياة من هؤلاء المتشائمين .

شمر عن ساعديك ، وخذ لكل شىء عدته ، فقد يكون هناك شىء مجهول من أسرار الكون فى انتظارك . وقد يكون ثمة دافع يرفعك ويسمو بك بالتدريج فوق سوء الحظ ، وقلة البخت وتغدو كل يوم أكثر استهانة وأقل تأثراً بهجمات النحس وغدرات الزمان . وتتعلم كيف تقتحم طريقك وتسلك سبيلك بالرغم مما يصادفك من عقبات ، إلى أن تصبح أخيراً قادراً على تكييف « حظك » وصياغته كما تريد .

قال أحد المفكرين : « إنما الحياة قصيرة جدًّا ، أقصر مما نتصور أقصر من أن نبدد لحظاتها فى التحسر والبكاء على سوء الحظ وقلة البخت ؛ بل يجب علينا أن نلاحق النجاح ونتابعه ونسعى إليه لأنه لن يأتى إلينا ، ونحن ليس لدينا وقت نبدده » .

واجه مخاوفك

لا أريد أن أكون موضع خوف بل موضع اهتمام .
« سعد زغلول »

إذا ألغيت الخوف من عقلك وقلبك ، كسبت الثقة التى لا بد منها لحياة منتصرة ، وعاونت على خلق الثقة لدى الآخرين . وبفضل الإيمان والشكر تستطيع أن تجعل الخوف فى أجازة دائمة .
« جورج ماتيو آدامز »

لا تخش انفعالاتك أو عواطفك . لا ترهبها ، حتى ولو كانت متعبة مكدودة . بل ادرسها ، وابحثها ، وفكر فيها . . . سيطر عليها ، واحكمها ، وتحكم فيها . . . ثم حولها لمنفعتك ولنفع الآخرين .

سمعت عن رجل كان يخاف البرق ويخشى رؤيته . فطفق يدرس الكثير عن البرق . وشيئاً فشيئاً عرف كيف يصوره من زواياه المختلفة . فتعلم كيف يفرق بين الومضات المتكررة الأخاذة ، عمودية كانت أم أفقية . وبذلك تلاشت مخاوفه من شر أنواع العواصف البرقية — وأصبح الشىء الذى كان يخشاه

ويرهبه ، هوايته المفضلة . ولشدّ ما كان يسرّه ويثلج صدره أن يخرج إلى شرفة منزله فى أثناء عواصف الرعد الرهيبة ويصور وميضها وبريقها ، حتى لقد ظنه أحد أصدقائه أنه أصيب بلوثة فى عقله . ولكن كان العكس هو الصحيح . لأنه بعد ذلك أخذ يكتب ويبيع لمجلات مختلفة موضوعات شائقة عن البرق والرعد . . لقد حول خوفه إلى هواية فيها كثير من النفع ، وفيها ربح وفير .

وكنت أعرف شابًّا كان أخوف ما يخافه هو أن يفقد وظيفته ، مع أنه كان على درجة من الثقافة لا بأس بها . ولكنه راح يدرس الإجراءات والشئون التى تتعدى حدود اختصاصه . واشترك فى تدريب بالمراسلة خاصة بالمحاسبة وطرق التجارة . ولقد أصبح بعد ذلك رجلاً حرًّا يستمتع بعمله كأحسن ما يكون الاستمتاع . لا يوهمه خوف ، ولا يخيفه وهم . لقد تعلم فيما تعلمه أنه فى حالة ما إذا فقد عمله أو وظيفته — وهو الرجل الحاذق — فإنه حتما سيجد وظيفة أخرى أحسن وأفضل فى انتظاره ، وبأسرع مما ينتظر .

وبنفس هذه الطريقة يمكن التغلب على جميع الذهانات [١] الانفعالية والسيطرة عليها . إنك لن تحتاج إلى أكثر من أن تدرس الأشياء التى تخاف منها وترهبها . جزئها وخذ كل جزء

(١) الأمراض العقلية .

منها على حدة . ابحثها ، وافحصها ، ودقق الفحص فيها . . صوّر البرق ومضاته اللامعة المتألقة . عندئذ ستتحول أحزانك ومتاعبك ومخاوفك إلى ما يفيدك ويعود عليك بالنفع الجزيل .

وفى إمكان كثير من العصابيين [1] أن يعتبوا أو يسكبوا امن جديد خلقهم وطباعهم . وفى مقدورهم أن يعيشوا عيشة هنية رضية إذا عرفوا كيف يكشفون عن الحقائق التى توضح لهم تركيب المخ والأعصاب ، ووظائفها ، والمبادئ الأولية للعقل — وبكلمة أخرى علم النفس .

إن تحليل الخلق ، وتحليل النفس ، إنما يرتكز عليها نور العلم الوهاج . وأطباء الأمراض العقلية يؤكدون أن التقلب العاطفى ، والطيش ، والتردد ، كثيراً ما يكون ملفتا للأنظار . وبوسع المرء أن يوفقها مع طول موجة ذهنية أخرى ، كى يمضى بعيداً تجاه النجاح . وستكون الحالة فى تغير مستمر دائم .

وبعض الناس سرعان ما يتألمون ويتوجعون ، وتتفجر دموعهم حزناً وكمداً ، ويطفقون يبكون ويعولون لأخف لوم ، ومن أقل تأنيب . ثم يظهرون من جديد الاحتقار والازدراء والتشفى . ثم يخففون عن أنفسهم ويفرجون عنها بعصفات عنيفة ، وهبات قاسية من السخط والحنق والغضب . وهكذا ينقلب السرور إلى حزن ، والبهجة إلى هم وكرب ، والفترات الطويلة

---

(١) المرضى باختلال الأعصاب .

من السعادة تتبعها غمرة من غمرات المكاره ، وحالة من حالات اليأس ، وانقباض النفس .

هذا الضرب من الطبع المتقلب ، الدائم التغير ، يتكشف دائماً فى نواحي نشاطهم . إنهم إما أن يكونوا سعداء دائبي الحركة ؛ وإما أن يكونوا غير قانعين ، بطرين ، مع خمول وعدم حركة . إنهم عطوفون ودودون فى بعض الأحيان ؛ نفورون ، ثقيلو الدم أحيانا أخرى . إنهم على حالات وأمزجة تدعو إلى عدم الاعتماد عليهم ، أو الوثوق بهم ، أو الركون إليهم . بسماتهم يعقبها عبوس ، ويتبعها تجهم وتطوب . ويقف أصدقاؤهم ومعارفهم حائرين حيالهم لا يستطيعون لهذا التقلب تفسيراً . وإنهم ليحتاطون دائما ويحترسون لتفادى العواقب وتجنب التبعات .

وهكذا يتحول الكثير من أمثال هؤلاء الناس إلى « خلان يتلونون مع الزمان » . إنهم لا يكادون يحبون بدون معيار ، حتى يكرهوا بأسرع ما يمكن بدون سبب أو مبرر . وبوسعى هنا أن أقرر — من باب العلم بالشيء — حقيقة ثابتة ، هى أن الميل إلى الكآبة والانقباض لدى الذكور أقوى بكثير مما عند الإناث .

والناس جميعا يتفاوت تأثرهم بإيحاءات أناس آخرين . كما يتفاوت انقيادهم إليهم عن طريق تلك الإيحاءات . وكثيراً ما يتعرض كل فرد (لنغزة) عصبية أو حالة هستيرية تشبه إلى حد ما (عفريت العلبة) . ويتوقف انطلاق هذا العفريت

وعدم انطلاقه على قوة الزمبرك والقوة الموضوعة على الغطاء .

فمن الخير أن نذكر جيداً أن شيئاً تافهاً قد يحطم كيان الإنسان ويضعضع بنيانه ؛ ولذلك ينبغى علينا أن نتحاشى إثارة أصدقائنا ورفاقنا ، ونتجنب استفزازهم ، أو تجريحهم ، أو خدش شعورهم ما دام ذلك فى وسعنا .

إن عناء العمل اليومى ، والمجهود المضنى الذى نقوم به كل نهار ، مع ما يصحبه من مناقشات صغيرة ومحادثات أومعاملات مع أناس سخفاء غير معقولين ، يقودنا إلى السعادة ، ويهبنا الرفاهية ، ويمدنا جميعاً بالخير وحب الخير .

ولقد ذهب بعض المحللين النفسيين إلى أبعد من هذا ، فقالوا إن الطبع السيئ أمر محمود فيه خير ونفع كبير . ذلك لأنه يؤهل الفرد ويبعث فيه القدرة لكى « يفتح الصمام » ويطلق منه « البخار » والضغط ؛ وعندئذ يستطيع الفرد أن يقفل أو «يسد» الصمام فى أى وقت فيغدو سوياً مرة أخرى بضع أسابيع . أما هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يطلقوا « البخار » فى شكل طبع فإنهم يستيقظون فى أغلب الأحيان ليجدوا أنفسهم فى حراسة عقلية بإحدى المستشفيات .

وإنه لأمر عادى جداً ، بل وطبيعى أن يثور الإنسان ويتميز غيظاً وحنقاً . ولكن لابد أن يكون هناك لهذه الحال من ترياق . وهذا محقق أكيد، تحققنا من وجود عقار أو مادة كيماوية هاجعة فى هذه اللحظة على أرفف الأطباء والصيادلة

مما يمكن أن تشفى السرطان والسل الدرنى . إذا نحن استطعنا أن نقع عليها ونعرفها .

وحين تصادف شخصاً مغيظاً . فقد اتزانه : عليك أنت أن تظل رزيناً ، ثابتًا ، عديم الاكتراث . وأن تضع أعصابك فى ثلاجة — إن اضطراك الأمر لذلك .

وإن رجلاً سيئ الطبع لابد أن يقدر الرجل الذى يمكنه أن يظل هادئًا رصيناً . إنه نفس قانون الطبيعة الأزلى القديم : العناصر المتشابهة تتنافر ، والعناصر غير المتشابهة تتجاذب .

إننا جميعاً عصبيون ، ولكن بدرجات متفاوتة . ولقد تمرسنا واعتدنا الضعف والوهن العصبى الناشئ عن المجهود والإجهاد العقلى المتصل ، والعمل الشاق المتواصل . وربما ينتاب بعضنا حالات هستيرية حقيقية ، ويهب كالعاصفة دون أى سبب مثير ظاهر . ومقدار الإجهاد وطبيعته التى من شأنها يتسبب الخوار والتهافت تختلف وتتباين باختلاف الأفراد . فبينما نجد شخصاً يستطيع رفع ثقل فوق المتوسط ، نرى آخرين يعجزون عن رفع ثقل أقل منه بكثير . .

والعمل الذهنى إذا امتد إلى حد الإفراط ، أو تجاوز القدر المعقول ، على شرط ألا يكون مصحوباً بالقلق ، ليس سبباً أو علة متكررة ، بصرف النظر عن المعتقدات المألوفة لدى عامة الشعب .

ولكن إذا ما وجد القلق ، فلابد من وجود ضعف بالأعصاب

وتكرر وقوع حالات من النور ستانيا . وغالباً ما تكون الأعراض الأولية لهذه الحالة هى العجز التام ، وعدم القدرة على التفكير تفكيراً مترابطا ، متتابعاً ، متصلاً دون انقطاع .

وهناك كثير من الناس ممن عُرفوا برجاحة العقل ، ونفاذ البصيرة ، وأصالة الرأى ، تغلب عليهم حالات نورستانية ، ولكنها ليست دائماً بسبب أعمالهم . وكم من أعمال مجيدة خالدة قامت على أيدى أناس ضعاف الصحة ، ضعاف الأعصاب .

إن كل فرد فى الدنيا كان فى الأصل عصبياً ، يعجز عن مقاومة كميات القهر والإجهاد بدون تعطل . إذا كانت كفتا الميزان متعادلتين تماماً ، فإن وضع ثقل واحد فى إحدى الكفتين يرجح ذلك الجانب .

وقد تأتى « الزوبعة المخية » من أثر تعب شديد ، وإجهاد مفرط ، ومن التهيجية (سرعة الانفعال والتهيج) . وفى إمكاننا أن نتبين وندرك إذا كان غيرنا من الناس فى حالة طيبة ومزاج معتدل ؛ أو فى حالة حزن واكتئاب : أو إذا كانوا مصابين بالسوداء . وعندئذ يتحتم علينا أن نبذل كل ما فى وسعنا ، ونعمل جهد طاقتنا لنتحاشى الكلمات الجافة ، والألفاظ القاسية ، أو الجارحة ، التى قد تكون سبباً لإثارة المشاعر ، وإيغار الصدور ، واستثارة الضغائن والأحقاد ، وتكون بالتالى سبباً لأضرار فادحة .

كيف نحس بهذه الزوبعة المخية التى تهددنا فى أى وقت ،

والتى قد تكون محدقة بنا ، مشرفة علينا ؟ . .

إذا تركنا « الحركة » هى التى تحكى لنا القصة ، عرفنا أن الفرد إذا عمل بطريقة سوية ، ونظر بطريقة سوية ، وكانت حركاته موزونة ، متزنة ، فهو لا شك معافى ، فى تمام العافية . ولابد أنه يشعر بسلامته وكماله ، بصرف النظر عما يقوله غيره عنه . أما إذا كانت حركاته مهتزة ، مترنحة غير رتيبة ، تلازم ساقه أو ذراعه أو رقبته حركات تشنجية أو تقلصية — هذا الشخص لايمكن أن يسمح له تركيب عقله بالدخول فى مناقشات أو مجادلات تحتاج إلى التدليل ، وإقامة البراهين عليها .

وإنها لحقيقة ثابتة معروفة ، أن الشىء قد يكون بالغ التفاهة ولكنه يهدم كيان الفرد ، ويشوش عليه عقله وتفكيره ، ويضعضع بنيانه ، ويكون سبباً فى عدم توافق مجموعات العضلة ، وفى التأثير على الجهاز العصبى .

إننا أتينا إلى العالم وفى كل منا قدرات متفاوتة غير متشابهة لمقاومة الإجهاد، سواء أكان انفعالياً أم ذهنياً أم فيزيقياً أم إم روحانياً أم كيميائياً—هذا الإجهاد الذى هو فى الواقع مجموع القوى التى تؤثر على التركيب العضوى فى الفرد ، وعلى خلاياه الأصلية ، الجوهرية . فهو لذلك يتضمن العلة ، والعمل الآلى ، والمجهود الفكرى .

وما نحن إلاّ فى مدارج العلم ببعض أشياء عن سبب التفاوت والتباين فى المقدرة على مقاومة هذه الحياة شديدة البأس ،

قوية البطش ، وعلى الصمود أمامها . ومن المحتمل أن تكون الوظيفة الشاذة لإحدى الغدد الصماء أو بجملة منها هى الأصل أو الأساس لكثير من الوساوس وضعف الأعصاب ، أكثر من أى علة نشأت فى الأصل من النظام العصبى نفسه . ولكن هذه نظرية أكثر منها مذهب علمى أو حقيقة واقعة محققة .

وبينما نجد كثيراً من الناس يتحملون الصعاب ، ويجابهون المشاق ، بقوة وبصبر وشكيمة . ويقاومون مقاومة فعالة ناجحة أثقال الحياة العادية المألوفة ، نجد آخرين يستسلمون لليأس ، ويستكينون للقنوط ، ويرزحون تحت أعباء وأوقار يتحملها غيرهم بثبات ورباطة جأش ، ورحابة صدر ، وعزم شديد — مهما كانت الأسباب أو الدوافع — ويبدو بالرغم من هذا ، أنه من الخير لنا ، بل من المحتم علينا ، أن نسمو بعقولنا ، ونرتفع بمشاعرنا ، حين نحاول أن نوفق بين مشاكلنا فى الحياة ، وبين أسلوبنا فى المعيشة بالنسبة إلى الحياة العاطفية لمن نعاشرهم أو نعيش معهم أو نرتبط بهم فى المعاملات .

والأمراض العقلية العاطفية التى يطلق عليها علماء النفس « الذهان العاطفى » كالخوف والبغض والكراهية والحب والثأر والتظاهر الكاذب ، مدعاة للحيرة والارتباك والوهم . وذهان الخوف على رأس القائمة ؛ فعند كثير من الناس أوهام من الخوف تملأ أذهانهم ، وتسيطر على رءوسهم ، كالخوف من الإخفاق، وضياع المستقبل ؛ والخوف من الزحام ، والخوف من

الجراثيم . كل هذه المخاوف بجميع صنوفها وضروبها ، يتحتم علينا أن ننتزعها انتزاعاً من نفوسنا . ونتخلص بل ونتحرر منها جميعاً ، لاسيما ونحن فى زمن التثقيف والاستنارة ، وعهد العلم والعرفان . كما يتحتم علينا أن نعمل على ألا يكون للبغضاء والكراهية مكان أو أثر فى حياة أى فرد . وأن نملأ بالحب والود والعطف والحنان قلوبنا وأفئدتنا مدى الحياة . وأن نحيا حياة عالية المستوى ، خالصة من شوائب الهموم والكروب والأحزان . وأن نعمل على الحد من وطأة الثأر والانتقام – أيًّا كان نوعه أو كيفيته – من النفوس الملتهبة بالغضب واللهب ، والصدور المضطرمة بالحقد والموجدة . وأن نمحو ما قد يكون عالقاً بالقلوب من سواد وقتمة وسخيمة . وأن نكون عطوفين على الناس ، متسامحين معهم ، رحماء بهم ، نحب لهم الخير كما نحبه لأنفسنا .

أما التظاهر المموه ، والتفاخر الكاذب ، والمباهاة الخداعة ، فهى ذهان له وزنه وله قيمته . وإنه لجدير بالدراسة والبحث . فكل فرد يودّ لو يضفى على نفسه شيئاً من الملاحة ، وحسن السمة . وإنه ليحب أن يتظاهر بالوجاهة ، والإصالة والجاه العريض ، وجمال المنظر والمظهر . وليس من شك فى أن هذه طبيعة متأصلة فى كل فرد . إذ أننا جميعاً نجاهد ونكافح فى سبيل التفوق والتبريز على سوانا ، ولكى نعلو فوق مستوانا . وأكثر الناس لا يسعدون ولا يهنأ لهم عيش إلاّ إذا فاقوا

أقرانهم وبرزوا عليهم. ولعلّ هذه المنافسة هى السبب المباشر الذى يعاون على النجاح الحقيقى الذى لا يمكن الوصول إليه إلاّ بشق الأنفس ، ولا يناله إلاّ كل مثابر ، صابر ، مجد ، عنيد .

كن مرحاً . .
تكن سعيداً

إن العبوسة والكآبة واضطراب النفس دلائل على الصغر . فجميع النفوس الكبيرة يكتنفها جو السكينة والطمأنينة .

« أناتول فرانس »

النور الذى يلمع فى عينيك تأتى به النار التى تضطرم فى صدرك .

« بيرون »

السعادة فى هذه الحياة محصورة فى فهم معنى الحياة .

« تولستوى »

ذات أمسية من أمسيات الربيع ، كنا ستة نفر جلوساً فى غرفة الانتظار نرتقب حضور باقى الزمرة واكتمال عقد الجماعة . كان منا من يدخن ، ومنا من يستمع إلى المذياع ، ومنا من يتجاذب أطراف الكلام مع خدين له . وكان الحديث يدور فيما بيننا فاتراً سقيماً متراخياً . وإذا بى أشعر على حين بغتة بالجو وقد تكهرب . فتلفت حولى لأرى غادة هيفاء ، رشيقة

القوام ، حسنة الهندام ، تلج الغرفة يتبعها باقى أفراد الجماعة .
كانت تتحرك فى رشاقة ، وتمايل فى خفة . وحين بدأت تتكلم تبين لى أن فى صوتها الخفيض رنة سرور ، وأن له نغمة موسيقية . حيت كل من تعرفه فرداً فرداً ، وأبدت اغتباطها وحبورها بالتعرف على الآخرين . إن عينيها اللامعتين تلتقيان بعينيك ترى فيهما إشراقه ساطعة كما لو كانت تحشد كل ما فى الدنيا من سرور وطرب . ويتجسد فيهما كل معانى الفرح والابتهاج . ولا تملك إزاءها إلا أن ترخى بصرك فى استحياء .

كانت بسماتها الطروبة المتألقة بما فيها من وميض طابعاً خاصاً لها . . وكانت ضحكاتها الفرحة بما فيها من ازدهاء تأخذ بمجامع القلوب والأفئدة . . وتمايل رأسها كان يوحى بأن كل شيء حولها فيه طرب وحبور وموسيقى . أما حركات يديها وكتفيها ففيها اتزان فطرى ، وإيقاع غريزى . كانت تعرب — بكل السبل وبجميع الوسائل — عن سرور جم ، وتعبر عن غبطة وانشراح ، وتعلن بحماس حيوى واستجابة متلهفة ، وتوافق متحمس ، إلى كل ما يبعث على الارتياح والاستبشار ، ويجلب الحب والود والوئام ، ويشجع على الحياة وحب الحياة .

لقد تأكدت تماماً من الطبيعة الجميلة ، والفطرة السليمة ، فى كل شيء قالته أو فعلته . سرنى منها أنها تدير الحديث بلباقة ، وتتنقل بين الجمع برشاقة . كان حديثها ترحيباً بمن حولها ، منبهاً ومؤنساً لهم ، محبباً إليهم ، فيه عذوبة ، وفيه رقة

وسحر . كانت فعالها مع ما فيها من سرعة خالية من أى تكلف أو تصنع . وكانت مظاهر السعادة تتألق منها . كانت تبدو وكأنها مخلوق من عالم آخر . لقد فتنتنا جميعاً ، وخلبت لبنا ، وسبت عقولنا . لم أتمالك نفسى من متابعتها بنظرى ، غير قادر على تحويله عنها . وطفقت لا أرى ولا أسمع ولا أشعر بشىء غير إثارتها المدهشة ، وتأثيرها السحرى ، وأثرها العميق فى النفس . وبت ليالى مسهداً ، مفكراً ، متأملاً .

* * *

ليس من عجب فى أن معظمنا يعيش على هامش الحياة ، عيشة رتيبة متماثلة . . (والذى يبات فيه ، يصبح فيه) ؛ أو يبدد وقته فى هوايات سطحية لا تنفع . إننا اعتدنا أن نمشى ونتحرك آلياً. طوال كل يوم يأتى علينا ، دون أن نفكر فى شىء يجعل منا أناساً ذوى شخصية ، وذوى أهمية .. أناساً ترمقنا الأعين بالإعجاب والإكبار .

إن سوراتنا الفكرية الطبيعية ، وخواطرنا ، قتلها الاحتشام والأدب والتقاليد . وغدونا نسلم جدلاً على سبيل الفرض بأشياء كثيرة جداً — كضوء الشمس مثلاً ، وأوراق النبات الزمردية ، وصحتنا ، وابتساماتنا ، وأصدقائنا — وأصبحت جميع أفكارنا وأفعالنا تتبع نماذج شعبية مصنوعة محلياً . وصار كل شىء يتحول بل يهبط إلى مجرد صورة . إننا على حال من السفسطائية لايمكن تصورها . حال غير طبيعية وغير واقعية . ونسينا كيف

نكون مسرورين منبسطين ، وكيف نثير الدهشة والإعجاب .
ولم يبق فى قلوبنا أية بهجة أو غبطة أو انجذاب .

ألم تواتك الظروف بالجلوس فى قطار محدقاً فى الفضاء الواسع وأنت خالى الذهن ، ليس بعقلك أى شىء . فتروعك شخصية مرحة نشطة ذات حيوية دفاقة ، ثضة الإهاب ، تمر أمامك فى الممشى ؟ . . إن أى شخص آخر يكون مجرد عابر سبيل كأى مسافر عادى ، بعكس هذا الشخص الذى ينبعث منه الحماس ، وتبين عليه بوادر الحمية ، التى يمكن التعبير عنها بصدق وسهولة ، بأنها حب الحياة .

ألم تلحظ فى أحد الشوارع المزدحمة شخصاً ما يسير كما لو كان أميراً ، يبدو من سمته كأنه يود أن يصافح بكل إخلاص أيدى كل الدنيا ، ويلوح من مظهره كأنما خلق لكى يعيش مرحاً نشيطا ، سريع التأثر ، كأنه على وشك أن يرفع عقيرته بالغناء ؟ . . وبينما تكون متنبها إليه ، مشغولاً بالنظر إليه وقت مروره ، لا يكون لأى شخص آخر سواه أية قيمة أو أهمية ؟ . .

ألم تر شخصاً يقوم بعمل صغير تافه كختم طوابع البريد على الخطابات مثلا ، أو شراء زوج من الجوارب ، يحوطه جو مفعم بالنصر الذاتى الذى لا يحده وصف . وفى حالة يكتنفها الظفر الذي لا حدّ له ؟ . .

ألم تشاهد أطفالا صغاراً يزاولون بازدهاء ومرح إحدى اللعب البسيطة ؟ . .

أولئك هم الأشخاص الذين لا تزال شمسهم تسطع بأشعتها الذهبية كل يوم . . .

أولئك هم الذين يغزون بابتسامة ، وينتصرون بكلمة ، ويعيشون بحرية وانطلاق ، ويحيون حياة كاملة ، غنية ، سعيدة . .

إن كل ما تحتاج إليه هو أن تنغمس فى السعادة ، وتغمر نفسك بها بقدر ما تستطيع . .

عبر عن الإيقاعات التى تكتمن فيك . وتأثر سوراتك الفكرية ، وتتبع خواطرك الفجائية . تعقب دوافعك وبواعثك . غن حين تشاء أن تغني . ولا تنتظر أحداً يشاركك فى الغناء . وارقص حيثما تشاء ، ولن يضيرك من الرقص شيء ، ولن يؤاخذك إنسان . افتح ذراعيك على آخرهما . ابسطهما ومل برأسك إلى الوراء ، واضحك . اضحك ملء شدقيك ! . . عندئذ ستشعر بالسرور والبهجة . وستحس بغبطة روحية ، وبفرح علوى سام يغمرك ويملأ جوانبك ، ويفيض فى كيانك . ماذا يهمك أو يقلقك إذا لم ير الآخرون سبباً ظاهراً أو علة واضحة لذلك ؟

عبر عن نفسك ، وعن حبك ، وعن سعادتك . وثابر على هذا التعبير واستمسك به . لا تذر السعادة أو الحب يخرج من حياتك لحظة واحدة . .

ابحث عن الأشياء التى تستدر الضحك . كن خفيف الروح ، ذا نفس مرحة طروب لا يخنقها هم أو قلق . فالفكاهة والبشاشة تدفع المرء إلى الشعور الطيب . والشعور الطيب الخير خطوة مبدئية نحو الهدف ! . .

أوجد لنفسك كل يوم شيئاً جديداً يبعث على السرور . واجعل الدنيا تعرف عنك أنك مغتبط جزل .

إذا لقيت فى طريقك مرة شخصا ممن تعرفهم وكان مكتئباً حزيناً ، رحب به وكأنك لم تره طول حياتك مبتهجاً فرحاً مثل هذه الساعة . قل له إن السعادة تبين واضحة على محياه بشكل عجيب ، وكأنها تذيع على الناس أهم الأنباء وأعظمها . ومن ثم راقبه وهو يفتح عينيه وينصب قامته أكثر من قبل .

افعل من الأشياء ما تحب أن تفعله . واغتنم اللذات المباحة ، واقتن منها ما يفيدك وينفعك . .

دع نفسك بكليتها تهلك فى سبيل إيجاد فكرة وتحقيقها . . اخلق ! وأنجز ! . . واسع فى الدنيا لكى تسعى الدنيا معك ! !

قف منتصب القامة ، فارع العود ، وانظر دائماً إلى الأمام . وتنفس بعمق ، وخذ الأشياء على أنها سهلة بسيطة . ولا تكن مندفعاً متهوراً . ولا متردداً فلا موضع فى الحياة للمترددين . .

اشتغل بتؤدة ، وتأن فى عملك لكى تكون طبيعياً . فلديك

من الوقت قدر ما عند أى شخص آخر . تمتع بكل ساعة تعيشها . عش فى حاضرك . .

اكتشف كنزاً من الذهب فى كل ذرة من ضوء الشمس . .

هذى هى الحياة بكل ما فيها من خير وفير . .

قدر لكل شىء قيمته . . احصل على كل شىء ترى أنه سيعينك ويعاونك ويصلح من شأنك ، واستحوذ عليه لنفسك . اجعله ملكاً لك . بهذه الوسيلة فحسب يمكنك أن تبنى نفسك . وتنشئها من جديد ، وتنميها ، ومن ثم تعيش غنيا موفور الغنى ، منعماً ، واسع النعمة .

ضع نصب عينيك أن ليس ثمة فى الوجود إنسان يمكنه أن يسلبك حقك فى الحياة . أو يختلس منك نصيبك من الأرض أو من النجوم ، أو من شعاع الشمس ، أو من الهواء . كل ذلك ملكك ولك حق استعماله والانتفاع به جميعاً كيفما تشاء . فامش فى مناكبها ، واستشعر ما فيها من جمال وفتنة . وترعرع فى ربوعها حتى تكتمل قواك ، وتكمل شخصيتك .

أشعر بالصحة والعافية ، والمس فى نفسك الطاقة الثابتة — التى لا تزول ولا تفرغ — وهى تسرى خلال كل خلية من خلايا بدنك ! . . عبر عنها بحيوية متوقدة توّاقة ، وبحماس قوى متدفق .

لا تخرج عن حدود روضة أزهارك . وحاول أن تملأها بألحان السعادة . ارفع رأسك عالية حتى تقرب من السحاب .

اجمع ذهب أشعة الشمس . امسك كل نغمة من لحن وضحكة ومسرة . . فالدنيا وكل ما فى الدنيا لك !! . .

ولكنها ليست لك وحدك . إنك ستعرف أكثر من ذلك كثيراً ، وستكون فى حاجة إلى تقسيم السعادة التى ستأتيك ، وستحتار فى توزيعها .

كن مخلصاً لنفسك ، واعمل بالنصيحة التى يسديها إليك أندريه جيد : « لا تقلد غيرك من الناس ، فتفعل ما يفعلون ، وتتحدث كما يتحدثون ، وتكتب كما يكتبون ، ولكن كن مخلصاً لنفسك ، وافعل ما تمليه عليك شخصيتك لتكون جديراً بالإعجاب » .

إن الأفكار تعدى ، بل إنها أسرع فى نقل العدوى من أى شىء آخر . والناس فى ميسورهم أن « يمسكوا » بالسعادة بسهولة لا تخطر على بال إنسان : إذا كانت قلوبهم مليئة دائماً بالأمل ؛ وإذا كان تفكيرهم إيجابيًّا ، بناء ، مجدياً . وهذا التفكير الهادئ المتفائل يظهر أثره فى المس الكهربى الذى يشعر به كل من يصافحك ؛ وفى انبساط أساريرك ؛ وفى البسمة العذبة الحلوة ، المنطبعة على ثغرك : وفى البريق اللامع المتألق الذى يشع من عينيك .

وإذا كنت توّاقاً لأن تكون خدوماً لأخدانك وخلاّنك ؛ وإذا كنت راغباً فى شىء يجعل لحياتك قيمة أكثر من قبل ، ولكل دقيقة تعيشها ثقلا له قيمته فى هذا الوجود الكبير ، عليك

أن تأخذ على عاتقك واجباً صغيراً وتعمل على تأديته خير أداء :
هو أن تكون مبشراً بالسعادة ، داعياً إليها بقدر ما تستطيع .

تخيّر لأحاديثك اللفظة العذبة ، والكلمة الطيبة ، فالكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين .

بذلك ستظل شمس حياتك مشرقة ، لامعة ، ألاّقة ، وضوء شمسك متوهجاً ، ذهبيّاً ، أخاذاً .

الشخصية . . .

. . ما هى ، وكيف تغيرها ؟

العظمة هى الشخصية ، وللعظمة مقاييس ، وقد يكون كل عظيم ذا شخصية ، ولا يكون كل ذى شخصية عظيما .

« نابليون »

إن قوة الإنسان وعظمته ومجده كل هذه تتوقف على صفات جوهرية .

« بيكنسفيلد »

الشخصية شجرة ، والشهرة ظلها .

« أبراهام لنكولن »

كم منا فى وقت من الأوقات من لم يحسد صديقاً من أصدقائه على شخصيته ، أو يغار منه ؟ . .

وكم منا من لم يذهب لسماع محاضرة إلا وأحس بخيبة أمل كبيرة لأن المحاضر لم يجتذبنا بحديثه ، ولم يخلب لبنا ، ولم يؤثر علينا بشخصيته ؟ . .

وكم منا من تأثر بشخصية متحدث إلينا فأسلمنا إلى نوم

مغنطيسى جعلنا نتقبل كل ما يقول ، دون أن نتبين أو نتفحص الحقيقة مما يقول ؟ . .

إننا كثيراً ما نلتقى بمثل هذه التجارب فى دنيا الأعمال . .

وكثيراً ما نرفض الشراء من بعض الباعة لأنهم « يعاملوننا بطريقة مخطئة » . وفى التدريس يخفق بعض المدرسين فى مهنتهم لأنهم ليست لديهم الشخصية التى يمكنهم بها كسب حب التلاميذ واحترامهم . ومؤلفو الروايات والقصص الخيالية يحاولون تصوير أبطالهم وبطلاتهم ووصفهم بصفات وحالات مستحبة ، ورسم أراذلهم بطريقة تجتذب استهجان القارئ واستنكاره .

فإذا أخفقت فى سلب لب أصدقائك ، أو فى الاستحواذ على عقولهم ، وإذا كنت على طرفى نقيض مع زملائك فى العمل ، فقد آن لك أن تتبصر فى نفسك جيداً وتتحقق من ذاتك . لأن السبب ، على الأرجح ، وفى أغلب الأمر ، يكمن فى شخصيتك.

وإذا كنت ممن يتلقون الأوامر ، أو ممن يقومون بعمل روتينى لشخص آخر أدنى منك عقلياً ، من كل الوجوه ، فقارن نفسك بهذا الشخص وستجد أنك تفتقر إلى بعض صفات شخصية معينة .

وقد يبدو غريباً معرفة ما للشخصية من أهمية ، حتى إن قلة قليلة من الناس من يتبصر فى شخصيته أو يقوم بمحاولة لتحسينها . ويقنعون بمركزهم الراهن كأمر نهائى دون أن يعملوا شيئاً يخرجهم مما هم فيه من وضع وضيع . فهم لا ينظرون إلى

وضعهم هذا إلاّ أنه قبر يغيبهم عن صوابهم ، وسيهبطون إلى درجة أقل من مركزهم الحالى . إن الرضا بحالتهم الراهنة كحل نهائى ليس أسوأ ما فى الأمر . لأن الفرد لا يستمر فى سكونه أبداً ، ولا يكف عن الحركة أبداً . فهو صائر حتماً إما إلى أسوأ ؛ وإما إلى أحسن .

ولكى نفهم كيفية تحسين أو تعديل شخصيتنا ، لابد أن نعرف ما هى الشخصية . والخطوة الثانية هى أن نعرف أو نكشف عما إذا كان من الممكن تعديلها أو تحسينها . والخطوة الثالثة هى أن نتأمل جيداً طريقة تحسينها إذا كان من الممكن تحسينها .

فما هى الشخصية ؟ . .

إنها تختلف تماماً عن الخلق ، لأن الشخص قد يكون لصّاً أو نشالاً ، ومع ذلك تكون له شخصية لا بأس بها . ومع أن الخلق والشخصية يختلفان عن بعضهما ، فالخلق مع ذلك عنصر من عناصر الشخصية . وهو ليس كالحذق أو الطبع أو الجمال أو الكلام ولو أن هذه الأشياء جميعها تدخل فى تكوين مجموع الذات ، أى الشخصية التى لا يمكن تفسيرها أو تعريفها .

ولا يمكن أن يجتمع متقشف وسكير فى مكان ما لمدة عشر دقائق دون أن نعرف شيئاً عن شخصيتهما . ولا يمكننا بحال أن نتحدث كثيراً عن شخصية رجل غر يب بمجرد النظر إليه وهو جالس على مقعد دون أن يبدى أى حركة . ولكن فى اللحظة

التى يبدأ فيها أن يتحرك ويتحدث ، يمكن أن نعرفه ونعرف ماذا يكون ! . .

لقد استقر رأى كثير من الثقات على أن : علم فراسة الدفاع ، وتحليل الخلق ، الاستنباء بالعدد ، وسائل لقراءة الشخصية .

ويقول هنرى ترال فى كتابه « سيكولوجية القيادة » إن المرء لكى يكون قائداً يجب عليه أن يبيع نفسه للآخرين . ولا يمكنه القيام بذلك إلاّ عن طريق شخصية راقية ، ناضجة .

وهناك ، على حد قول هذا الكاتب ، تسع صفات أوعوامل أساسية هى : الحيوية ، والانفعالية ، والإخلاص ، الجاذبية ، والعقلية ، والروحانية ، وسلامة النية ، والجرأة ، والفردية . . ويقول بعد ذلك إن هذه العوامل يمكن تقويمها وتقويتها.

ومن العلماء من حلل الشخصية إلى عشرين عاملاً منها : الطموح ، والفاعلية أو التأثير فى الحديث أو الخطابة ، والصداقة والحصافة أو اللباقة ، والابتهاج ، وسلامة الرأى ، والأناقة ، حسن تدبير الأمور .

ودلت التحريات التى تجمعت منذ بضع سنين فى إحدى الجامعات على أن الشبان الذين يحصلون على درجات عالية ، الذين يخالطون غيرهم ، يحسنون الاندماج معهم ، هم الذين يصيبون نجاحاً أكبر بعد تخرجهم من معاهد التعليم .

وجاء فى أكبر عدد من الإجابات على أحد الاستفتاءات أن الصفات المميزة التى يراها كبار رجال التعليم فى المعلم الصالح هى : الشخصية ، والمظهر ، واللباقة ، والتحفظ ، والوسامة ، والحماسة ، والحيوية ، والإخلاص ، والتفاؤل ، والمعرفة ، والعطف .

وفى بعض الأحيان ، تبدو الشخصية مركبة ، وفى ذلك يقول واطسون ، زعيم المدرسة السلوكية : « إننا يجب أن نعتبر مجموع موجودات الفرد (الفعلية والمحتملة) وديونه (الفعلية والمحتملة) فى الجانب المعارض مثل شخصيته . ونعنى بالموجودات ذلك الجزء من مهمات الفرد ومعداته الذى يعمل من أجل إصلاحه وتقويمه واتزانه فى بيئته الحاضرة ، ومن أجل إعادة تقويمه وإصلاحه ثانية إذا تغيرت البيئة ؛ ونعنى بالدين ذلك الجزء من مهمات الفرد الذى لا يعمل فى البيئة الحالية ، والعوامل المحتملة التى يمكن أن تمنع أو تعوق نهوضه ليلتقى ببيئة مختلفة » .

وهناك آخرون يعتبرون الشخصية كنتيجة تعاونية ، ومحصول تركيبى لهذا الإصلاح المتباين بين ما تفعله الدنيا بنا ، وبين ما نحاول أن نعمله لمواطنينا .

إننى سردت هذه الابتداعات أو التخريجات لأبين إلى أى مدى كانت الشخصية قابلة للتفسير ، ولأبين كذلك وجهات النظر المختلفة الخاصة بها ، والمحاولات الكثيرة التى قام بها الأخصائيون وأهل الخبرة لإيجاد تعريف لها . ولكى لا يحرّف

المعنى من غرضى ، أقول إنى لا أتحدث عن الشخصية بأى حاسة مختصة بالفلسفة العقلية . وإننى لا أبحث ولا أتكلم فى الذات ، أو الذات الأخرى ، أو الأنا ، أو العقل الواعى ، ولكننى أنظر إلى الشخصية بالطريقة التى ينظر بها البعيدون عن الفن لا أقل ولا أكثر . وإن « شيئاً ما » هو الذى يبعثنا على القول بأن شخصاً بعينه يسبى العقول ، وذو نفوذ ، وجاذبية وتأثير .

وينبغى لنا ، دون شك ، أن ندخل فى مناطق اللاشعور والتحتشعور لكى نكشف عن بؤرة العادات والمسالك العصبية التى تكون الارتكاسات التى يهمنا أمرها . ولكننا لا نهتم بشىء آخر أكثر من ذلك . وسنبدأ بأن نفترض أن ميكانيزم الشخصية مخبوء فى أغوار التحتشعور . وأظن أن هذا صحيح لأن جميع العناصر أو المواد الأصلية التى تتكون منها الشخصية تتعلق بالتحتشعور الذى يضبطها ويحكمها على أوسع نطاق . وأظن أن هذا صحيح ، فضلا عن ذلك ، لأن هذه العناصر تبدأ قسراً كضروب من التجارب ؛ ثم تصير محاكاة ، ومن ثم تغدو عادية . إنها فى بادئ الأمر قهرية ، تتم فى الغالب لاشعوريًّا ، ولكن فى مقدورها أن تصير إرادية ، كما يشاهد من محاكاة الأطفال .

إن خبراتنا جميعاً فى الحياة تحكمها وتحددها ثلاث قوى هى : الطاقات الموروثة ، والأوساط البيئية ، والتأثير الوهمى . .

فالصورة فى العقل هى المشكّلة والخالقة كأية قوة من القوى التى تخرج من الأسلاف أو من البيئة . وعن طريق أصل الصورة أو جرثومتها يمكننا أن نضبط ونكيف تأثيرات الوراثة والبيئة . أما المنبه المرشد فى جرثومة الصورة هذه فهو الذى يوجه حياتنا . ومن خلال هذه القوة فحسب صار عظماء العالم ، ولا سيما أولئك الذين استخفوا بالوراثة والبيئة ، إلى ما هم فيه من عظمة ومجد . لقد اهتموا بهذه القوة وحرصوا على أن يجعلوا أمامهم الصورة التى يريدون أن يكونوا عليها . ولم يتوقفوا عند هذا الحد . بل إنهم وقد فعلوا هذا عادوا وتأكدوا مما يفعلونه . ولا يستطيع أى فرد يريد أن يكون عظيما ، أو يريد أن يغير شخصيته ، أن يؤمل نجاحاً إذا توقف عند الصورة .

وهناك كثير ممن يلتمسون الشىء ويجلسون فى انتظار تحقيقه . وعندما لا يلوح فى الأفق ما يدل على تحقيق ما يريدون تتزعزع عقيدتهم ويفقدون ثقتهم بالسماء . فى حين أن الإيمان ضرورة لا بد منها . إلا أن هناك شيئين آخرين على الأقل مطلوبين لتحقيق الغرض . فالفرد يجب أن يكون عنده الاستعداد لمواجهة العواقب والتبعات إذا كانت هناك تبعات . ويعمل شيئاً يجعلها تحدث . وهكذا الحال مع النجاح ؛ وهكذا الحال مع تغيير الفرد شخصيته . فالإيمان بالصورة ضرورى ، ولكن يجب أن يكون الفرد مستعداً لمقابلة التبعات إذا وُجدت .

وبما أن العادات وجميع العناصر السيكولوجية الصغيرة

التى تعمل على تكملة الشخصية ، تتكون لا إرادياً ، فيجب أن تستبدل إرادياً وشعورياً . وعلى الفرد أن يعمل مجهوداً شعورياً لاستبدال القوى المخربة .

إن أحلام الفرد وخططه ورغباته وصوره هى التى تعين اتجاهه فى الحياة . أما الإرادة فعليها إطاعة التخيل بصرف النظر عن العواقب أو التبعات . وإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . إنه يرث اللبنات وأخشاب العمارة الخاصة بطبيعته ؛ أما موقع البناء فقد أعدته له البيئة ؛ وأما تصميم المنزل — منفعته ، ونجاحه وجماله — فإنما يقاس بالصور العقلية .

إن العادات الحسنة ، والدوافع النبيلة ، والميول المهذبة ، والذكاء ، والتفكير الوديع ، والاتجاه والسلوك الذى ينشأ عن هذا كله إذا فرضنا أنها تكون شخصية جذابة ، فإن الفرد يمكنه أن يكيف شخصيته بقدر ما يمكنه أن يحقق العناصر السيكولوجية لأنه بمجرد أن يقوم بهذا التحقيق يكون على استعداد لتقويمه وتثبيته فى خلقه وفى تركيبه العام ببعض تمرينات ضرورية لتحسين كل منها ، ونذكر منها ما يلى :

اعرف ما تريد :

قبل كل شيء يجب أن تعرف ماذا تريد . لأن معرفة الفرد

أخطاءه بداية الحكمة . ولذلك فإن أهم شيء هو معرفة نوع الشخصية التي يجدر بنا اقتناؤها ، إذا كنا غير راضين عن شخصيتنا السابقة . والفرد إذا كان يأمل تحسين شخصيته ، فعليه أن يعمل شيئاً أكثر من التأميل . وعليه أن يعمل شيئاً أكثر من الرغبة التي يرجوها ، ويجب عليه أن يبدأ بشيء بسيط ومحدد فى عقله . فإذا بدأ وفى عقله أى شيء من الشك أو التردد فسيقضى على نفسه قضاء مبرماً .

والشخصية هى نتيجة ما يحدث لنا ، لأن الحياة تميل إلى احتضان ارتقائنا وتحسين تطورنا بالرغم منا . فمن الواضح إذن أن بيئة موطننا ، مثلا ، تلعب دورها فى تشكيل شخصيتنا . والأسرات لديها اتجاه إلى التفكير والعمل بطريقة مماثلة ، لتكون نوعاً من الشخصية الأسرية . ونحن إذا قلنا « إن الطيور على أشكالها تقع » أو إذا قلنا « حدثنى عن معاشريك من يكونون ، أقل لك من تكون » فهذا يشير إلى الاعتقاد الشائع عن أثر البيئة فى الشخصية ، فيمكننا تبعاً لذلك أن نحكم شخصيتنا بالقدر الذى يمكننا به أن نحكم هذه العناصر . فعشراؤنا ، ومهننا ، وحياتنا المنزلية ، والبيئة بوجه عام ، تؤثر بالخير أو بالشر فى اتجاهاتنا وميولنا تجاه الأناقة ، والذوق فى الملبس ، والأساليب الرقيقة ، والخلق الكريم ، وعزة النفس ، والوقار فى كل مجلس أو جماعة ، وكل هذا يلعب دوره فى منحنا شخصيتنا .

قدِّم إيحاءاتك إلى اللاشعور ، وكوِّن صورة ذهنية ، واحتفظ بالصورة أو النموذج أمام لا شعورك . والفعل الموافق سيقوم بالاقتداء . والإيحاءات المحددة بالخير ، نتائجها دائماً محددة بالنجاح ؛ كما أن الإيحاءات العرضية تنتج نتائج عرضية . والجسم دائم التغير خلال خلايا الحياة ؛ فالعقل والجهاز العقلى دائم التغير خلال جراثيم الصورة الذهنية. وهكذا، إذا عرف الفرد هذا ، فعليه أن يكون متفائلا بالخير . وعليه أن يوحى إلى نفسه إيحاءات بناءة ، ويفكر تفكيراً إيجابياً. فالأفكار السلبية أشبه بالنظر إلى الوراء ، ولن يصل الفرد إلى أى مكان إذا نظر إلى الوراء . فابدأ من الآن فى تشكيل حياتك وتكوين شخصيتك من جديد .

وابدأ من حيث أنت :

أما الذين يحاولون أن يبدءوا من حيث يحبون أن يكونوا فهم مخطئون . إنهم يعجبون بشخص معين ويودون أن تكون لهم مثل شخصيته. ويقرءون فى علم النفس التطبيقى ويبدءون فى تطبيق ما قرأوه؛ فتكون النتيجة اخفاق مريع .. لماذا ؟ لأنهم رأوا بكل بساطة أن يبدءوا من عند هدفهم . مع أن كرة القدم يجب أن تركل من وضع ما فى الملعب ، ثم تنتقل من هجمات الخط الأمامى واندفاعات الجناح إلى أن تصل إلى المرمى .

إن العنصر الحيوى الثابت فى الشخصية هو مثالية الفرد ،

تماماً كما فى الإرادة والخلق . فطالما يضع الفرد أمام عقله الصورة التى يريد أن يكون عليها ، ستتيح للنموذج أن يتكون ، ويأتى الدور بعد ذلك على التركيب البنائى لإتمام النموذج . وإذا كانت لدى الفرد الرغبة فى تغيير شخصيته ، فعليه أن يغير الصورة التى أمام عينى عقله . ويجب أن يغير مثاليته . والفرد يسمو أو يهبط فى حياته المعيشية على قدر فهمه وإدراكه للأمور ، وتطبيقه لقوانين الطبيعة .

دعم نفسك :

اتخذ نموذجاً . . واعمل كما تعمل أى حائكة ، قصّ جزءاً واحداً فى كل مرة . فالحياة لم تصنع بالآلات ؛ ولا يمكن لعناصر حياة الفرد أن تتكيف أو تحور بطريقة الآلة . وأنت لا يمكنك أن تحطم آلة ثم تفصل قطعة من القماش . بل يجب أن تأخذ جزءاً جزءاً — وتستعمل مقص قوة إرادتك وتخيلك ! . .

ولكى تتحقق من أنك أنت هو أنت ، ومن أنك فى الحاضر هو ما كنت عليه فى الماضى بسبب الوراثة ، وتأثير ما قبل الولادة ، والتجربة التى تعقب الولادة ، والتربية ، يجب أن يكون هناك المشجع لذلك لا التثبيط والمعارضة .

أما أن تفكر فى تلك الأشياء على أنها غير قابلة للتغيير أو التبديل ، وعلى أنها من الأمور التى تتعلق بالقضاء والقدر ، فهذا شيء يمحو الشعور ، ويفقد الحسّ ، ويسلب الوعى .

صحيح أنك لن تقدر على طرد هذه المؤثرات ، ولكن فى إمكانك أن تستعيض عنها بدوافع أقوى وقوى أعظم . وليس ثمة عادة يمكن «تحطيمها» ، ولكننا نحصل بسهولة على باعث أقوى . ولهذا السبب يجدر بنا أن نكوّن عادات حسنة منذ الصغر .

والتعويض أو الاستبدال هو ما يجب أن نهتم به . فالعقل التحتشعورى ، إذا أعطيته فرصة ، فإنه سيستبدل لك فى الحاضر النشاط البانى الذى سيحل محل القوى الهدامة التى كانت تعمل فى الماضى .

وابدأ بدراسة نفسك . وهذا لا يمكن أن يكرر كثيراً . . .
اعرف أين أنت الآن ، ثم قرر أين تريد أن تكون . . .

يقول بعض الثقات إننا يجب أن يكون لنا ست ذوات : ذات تتكافأ مع المشاكل ومع بيئة الموطن ؛ وذات للحياة الاجتماعية ؛ وذات لدنيا الأعمال ؛ وذات لخارج البيت ؛ وذات للفكر ؛ وذات للروح . وأنهار التعبير هذه إنما تتدفق فى بحيرة النتيجة الجميلة التى ستغدو فيما بعد شخصيتنا . وإذا كانت البحيرة جميلة وواسعة ورائعة ، فذلك يرجع إلى قوة وجمال وصفاء الأنهار التى تغذيها .

إن الزمن الذى تنمو فيه العادات ، وتتكون فيه السمات المرغوبة فى الشخصية ، هو زمن الطفولة دون شك . ولذا يجب أن يحرص الآباء على أن يكونوا متنبهين للوسط أو المحيط الذى

ينشأ فيه أطفالهم . فللنماذج القديمة ميل للظهور بعد سنين . وإذا كانت هناك بعض أنظمة لرد فعل قد تكونت ، وليس من السهل تغييرها ، فليس لذلك من سبيل إلاّ أن يحل محلها منبهات أقوى .

إن ذلك الذى تمتلكه ، مهما كان ، ليس بكثير . .

وليس بكثير كذلك ، ذلك الذى تفعله بما تمتلك . .

إن شاباً يرث الملايين قد يموت فقيراً معدماً ، فى حين أن شاباً فقيراً ، صعلوكاً ، قد يستخدم ذكاءه ، ونبوغه ، ويستثمر نقوده ، فيموت وهو من أصحاب الملايين ! . .

إذن ، فاكشف عن درجة عقلك ، وعن مدى ما عندك من إدراك ، واستعمله على خير ما يكون الاستعمال . . وابدأ من حيث أنت .

عشر طرق لمقاومة الإخفاق

يشق على الإنسان أن يخفق ، ولكن عدم محاولته النجاح أقبح من ذلك .

« روزفلت »

سبب إخفاق الكثيرين ، أنهم لا يعرفون مواطن الضعف فيهم .

« شكسبير »

تريدنا الحكمة شجعاناً لا نبالى بشىء . تريدنا أشداء مستهزئين ، لأن الحكمة أنثى ، ولا تحب الأنثى إلا الرجل المكافح الصلب .

« نيتشه »

العمل المشترك يوحد النفوس بقدر ما تفرقها الأثرة ومحبة الذات .

« أناتول فرانس »

قال دزرائيلى عندما وقف فى البرلمان ليخطب لأول مرة فى حياته وقوبل بعاصفة من السخرية والاستهزاء : « سيأتى اليوم الذى تشتاقون فيه لسماعى » .

فالنجاح غالباً ما يكون على ناصية الطريق الذى تريد أن

تتفاداه . بل قد يكون قريباً من المكان الذى تقف فيه وتريد أن تغادره .

والإخفاق كثيراً ما يكون مألوفاً بين أولئك الذين يحاولون عمل أشياء عظيمة ، وأولئك الذين ينطوون على أنفسهم ويستقلون بذاتهم ، وغير الطموحين ، والقانعين بحالتهم الراهنة .

ويخفق الكثيرون لأنهم لم يتعلموا من أخطائهم ، أو لأنهم لا يبذلون من الجهد فى أعمالهم شيئاً . ولا يؤثر فى نجاح المرء أو فشله مال أو ذكاء أو مركز أو جاه أو نفوذ أو مظهر أو حظ بقدر ما يؤثر فيه اتجاهه نحو الحياة . فإذا ظننت أنك تحت رحمة القضاء والقدر أو القسمة والنصيب فإنك ستقهر وستغلب على أمرك قبل أن تبدأ . أما ما الذى سيعمله الآخرون ، وما الذى ستكون عليه الأحوال وماذا سيأتى به المستقبل ، فلا أهمية له مطلقاً . وأما الذى يعتد به فهو الطريقة التى يجب أن يتبعها المرء . وأنت يمكنك أن تضبط وتحكم أكثر الأشياء أهمية وهى : اتجاهك ، وميولك ، ونزعاتك ، وإرادتك . فلكى تتغلب على إخفاقك يجب عليك أن تحلله وتتخلص من أسبابه ، وتتجنب تكراره أو إعادته .

١ ــ دع شجاعتك تحطم مخاوفك :

إن شجاعتك ستبعث فيك روح الإبداع والإنشاء . وستفتح لك أبواب الفرص ، وتستخرج لك قواك المخبوءة ، وتملأ رؤياك

بالإمكانيات . أما مخاوفك فستحطم ثقتك بنفسك ، وتجفف ينابيع إلهامك ، وتعتم رؤى أملك .

يقول چون باترسون ، منشئ آلات تسجيل الدورات فى آلة النقود : « إذا قدر وجاء وقت لا يكون فيه للشجاعة أى ضرورة ، ولا يكون لها لزوم لتكافح ضد الحواجز والعقبات ، فسأعرف أن الوقت قد حان لأوصد مصراعى النافذة ، وأصرف القدرة وأرسم النيران طول الوقت » .

إن الذين يكسبون أينما كانوا هم الذين يقاومون المصاعب بشجاعة ، ويواجهون الشدائد بصبر وحزم . والذين تعلموا ألاّ يخافوا ولا يفزعوا ، وعلمتهم التجارب الجرأة والإقدام . والرجل الذى ينال بسهولة كل ما يطلبه ، ويأتيه كل شىء دون كد أو جهد ، لن يتعلم الكفاح فى سبيل الحصول على الأشياء . وإذا انتزعت من تحته « الدعامات » فإنه يسقط ولا يستطيع معاودة النهوض بنفسه . فالنائبات والضائقات كثيراً ما تكون امتحاناً صادقاً للمرء . وأنت إذا أردت أن تفعل الخير ، عليك أن تضع كل الرصيد ، وتستنفد جميع ما تملك من احتياطى ، وتجعل شجاعتك تتغلب على مخاوفك ، بل وتسحقها سحقاً .

٢ ــ دع التركيز يحل محل شرود الذهن :

دع الانتباه الكلى والمثابرة ، والعمل الجاد ، يحل محل عقل

ساه ، وقلب لاه ، وحياة حائرة متخبطة . ولكى يعرف المرء عمله بالضبط ، عليه أن يؤديه بكل كفاءة ومقدرة . وعليه أن يساير الزمن ويجارى مطالب كل فرد من الأفراد . فالناس إنما يتقدمون بتقدم أعمالهم ، وينجحون بنجاحها . وحينئذ تواتيهم فرص جديدة ، وتتفتح لهم آفاق عمل فذ ومآثر حميدة .

يقول إمرسون : « إنه لسعيد جد السعادة ذلك الشخص الذى وجد عمله » . فإذا وجدت عملك ، وأمكنك أن تضع فيه قلبك ، فستكون فى طريقك إلى السعادة . أما إذا لم تجد عملك فستكون دائماً حائر الفكر ، شارد البال . وستكون فى طريقك إلى البؤس والتعاسة والإخفاق . فبإيجاد عملك تجد الدرب الذى يوصلك إلى النجاح .

ومهما كان العمل الذى عند الإنسان ، وكيفما كان ، إذا ركز فيه عقله واندمج فيه بكليته ، فلا بد أن يتم على أحسن ما يكون .

يقول ديكنز : « إن الصفة الوحيدة ، المفيدة ، المأمونة ، المربحة ، التى لابد من الحصول عليها فى كل غرض من الأغراض وفى كل مهنة من المهن ، وفى كل أمر يتعلق بالدرس أو التفكير أو التأمل هى صفة الانتباه » .

ويقول إديسون : « إننى إذا شرعت فى عمل أو بدأت فى أى شيء فلابد أن يمكث أبداً فى عقلى ، وليس من السهل بأى حال أن أتحول عنه أو يتحول عن عقلى حتى يتم » .

فبالطموح يصل المرء إلى هدفه ، ويجد السعادة التى كان يظنها وقفاً على قليل من الناس .

إن الشخص الناجح ليس هو الذى يبدأ ثم يقف ، وإنما هو الذى يبدأ ثم يثابر ويصرّ على النضال . فإذا أردت أن تقاوم أخفاقك وتتغلب عليه، يجب أن يكون عندك الانتباه الفاره ، والإصغاء الذكى الفطن ، والإدارة الحاذقة الحازمة ، والمثابرة ، والإصرار على العمل فى الأوقات العصيبة القاسية بنفس الحماسة والحمية التى تعمل بها فى الأوقات السهلة .

٣ ــ دع معرفة الذات تحل محل الجهل بها :

لقد كانت دلفى ، باليونان ، مهبط وحى أبولو المشهور ، حيث راح العالم يبحث عن المستقبل ، ويرجو الظفر بمشورة فى المسائل المعقدة أو الأمور المحيرة . وهناك فوق الكهف الذى كان على هيئة مزار وُضع حجر كبير نقشت عليه هذه النصيحة التى وجهها أرسطو إلى كل سائل :

« أعرف نفسك »

إن التحليل النفسى ، وهو أحدث ما فى علم النفس ، بكل ما فيه من مزايا ، يرجع إلى هذه الحقيقة : « يجب أن

يحالف الفرد نفسه » . ولقد عرف نابليون هذه الحقيقة فقال : « من يملك نفسه يعد أكبر منتصر » . ومن قبل نابليون بآلاف السنين عرفها لقمان فقال : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

إنه لشيء عظيم ، إذن ، أن تطلع على خفايا نفسك ، وتلمّ بمكنونات ذاتك . ولقد أخفق الكثيرون لأنهم لم يعملوا « جرداً » أو « كشف حساب » لصحتهم وعاداتهم صفاتهم ومؤهلاتهم وطباعهم وميولهم وترتيبهم .

إنني أعرف أربعة رجال كانوا من المخفقين : مدير بنك لأنه حاد الطبع ، سريع الانفعال ؛ ورجل أعمال لأن هيئته كانت تبدو عليها الكبر والغطرسة والتعالى ؛ ومزارع لأنه كان غير موثوق به ، غير جدير بالاعتماد عليه ؛ ورجل دين مرصع بالذهب ، وممتلىء شحماً ولحماً . .

إنه لمخفق ذلك الرجل الذى يتبختر زهواً ، ويتمايل عجباً كالطاووس ، ويرتدى إهاب الطير فيما يتعلق بأموره المالية والاجتماعية ، ويظن أن الأثواب الزاهية الجميلة هى التى تصنع منه رجلاً . فمن كان هذا شأنه يكون النجاح بالنسبة له كجلد النمر المقلد الموشى بخرز من زجاج .

إن العالم اليوم لينظر إلى الرجل الذى يعرف تماماً نوع العمل الذى يناسبه ؛ والذى يريد أن يضع نفسه فى المكان الصحيح الذى يوافقه ؛ والذى يشتهى أن يكسب بعرق جبينه ما يكفل له حياة أمينة شريفة ؛ والذى يود أن يرى المحيطين به سعداء ؛

والذى يمكنه أن يضيف شيئاً ، أى شيء ، إلى الإصلاح الاجتماعى والبشرى ، وإلى الإنسانية جمعاء .

٤ ـ تخير أصدقاءك ومعارفك باعتناء :

إنما يعرف المرء بأصدقائه الذين يخالطهم ويخالطونه ، ويعاشرهم ويعاشرونه ، وكل قرين بالمقارن يقتدى . وهكذا نعرف فى الغالب اتجاه ذات الفرد ، ودائرة أفقه ، ونوع مبادئه فى الحياة . وأنت ينبغى لك أن تراقب الصداقة كيف تمضى . . هل ترى أن أصدقاءك عون لك ، أم أنهم عالة عليك ؟ . . إن الصديق يعرف وقت الضيق . والصاحب الذى له أوطار ، إذا قضاها طار . فالأصدقاء المسيئون الذين من هذا الطراز يميلون إلى تشويه سمعتك الطيبة ، وعرقلة أعمالك المجيدة ، والتقليل من مركزك الاجتماعى ، وإثنائك عن مثلك العليا ، وإخلالك عن سواء السبيل .

أما الأصدقاء الأوفياء الذين تغلب عليهم صفة الاستقامة ، فإنهم يضيفون إلى شخصيتك خلقاً حميداً ، ويزيدون أطماحك تأثيراً ونفوذاً ، ويذكرونك بالثناء والإكبار لدى الآخرين فى غيبتك.

فتحاش جهدك الصاحب ذا السمعة السيئة ، والعشير الإمعة ، وابعد عنه بعدك عن كلب أجرب . واندمج فى جو الطامحين والمثابرين .

٥ ــ دع الغرض المحدد يحلّ محل العمل المشتت :

حدثني مدير إحدى المؤسسات الكبيرة الناجحة بقوله :
« إنني التقيت في الخمسة عشر سنة الأخيرة بعشرة آلاف رجل تقريباً . فوجدت أن الرجل الذى له غرض يستّهدفه ، وله دافع يستحثه ، وله فكرة محددة واضحة عما يريد أن يفعله ، فرد نادر قليل الوجود » .

فالناس الذين لا غرض لهم كثيراً ما يكونون تحت رحمة القدر . إنهم لا يستطيعون السيادة على أنفسهم ، ولا يمكنهم السيطرة على نصيبهم أو التحكم فى مصايرهم . إنهم عبيد الظروف والأحوال . بل إنهم أقرب شبهاً بالسفينة بدون خريطة أو بوصلة ، وليس لها مصير تصير إليه ، أو وجهة معينة ترجو الوصول إليها ، فلابد أن تجرفها موجة كبيرة من موجات بحر الحياة الصاخب .

إن الغرض المحدد يركز انتباه الفرد ويجمّعه فى نقطة مركزية ويضبطه على الهدف . إنه يسخر طاقة الفرد لغاية واحدة . وإنه ليشحذ حد ذكاء الفرد ويرهف قريحته . وإنه ليضفى على الحياة معنى جميلاً .

فإذا رغبت فى أن تتغلب على الإخفاق ، فدع غرضاً بعينه يسيطر على نفسك ، ويقودك إلى دراسة هادفة جادّة ، ويبعث فيك روحاً طامحة ، ويوحى إليك إيحاءات بناءة ، ويلهمك

بمجهود فيه بعض التضحية للبلوغ إلى هدفك .

٦ ــ دع الاقتصاد يحل محل الإسراف :

لست أعنى بالاقتصاد أن يكون الفرد شحيحاً أو بخيلاً . . فالاقتصاد ليس معناه أن نجوع اليوم لنأكل غداً ؛ ولا أن نضحي بسعادة يومنا فى سبيل راحة غدنا ؛ أو أن نكون اليوم نساكاً متعبدين من أجل مركز الحياة الاجتماعى غداً . . لقد عرّف بنيامين فرانكلين الاقتصاد بأنه : « إذا عرفت كيف تنفق أقل مما تحصل عليه ، لاستحوزت على حجر الفلاسفة » . ويقول روكفلر : « أومن بأن حسن التدبير ركن من أركان الحياة المنتظمة ، وأن الاقتصاد عنصر أساسى فى كل بنيان مالى سليم . . الحكومة ، والأعمال ، والحياة الخاصة » .

فالاقتصاد حالة من الحالات العقلية التى تقيس وتزن الحياة بإمكانياتها فى التحصيل ، والتى تطبق أحسن جهودها بالآلات والعدد الموجودة لعمل معظم الحاضر ليكون أساساً ثابتا مناسباً للمستقبل الذى يستحق الذكر . فلكن إذن مدبراً مقتصداً فى وقتك ومالك وصحتك ومواهبك وفرصك . ويجب أن تتعلم كيف تدخر المال ، فهو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن حياتك ووقتك وجهدك ودراستك وألمك وعملك .

فإذا كنت تريد أن تعرف إن كنت سائراً فى طريقك إلى النجاح أم لا فيمكنك أن تعرف بسهولة ، والاختبار سهل

بسيط ومنزّه عن الخطأ ، وهو : هل أنت قادر على أن تدّخر مالاً ؟ . . إذا لم تكن كذلك ، فستضل الطريق ، وستخفق وتمنى بخيبة أمل كبيرة وتكون من الخاسرين . لأن بذرة النجاح ليست فيك . .

هل أنت مخفق لأنك مسرف ومبذر ؟ ..

إذن كن مقتصداً ، وثابر على الادخار ، وستجد نفسك سائراً فى طريقك إلى النجاح .

٧ ــ دافع عن المثل الأدبية العليا :

إن القوانين الأدبية الأساسية عامة وعالمية ، جامدة قاسية ، ثابتة محققة ، مثلها كمثل قوانين الطبيعة ، ونجوم السماء ، والشمس المشرقة . ومن الأمور الجوهرية أن قوانين الأرض والبحر والسماء إنما هى قوانين أدبية يؤيدها الاعتقاد بأن : « هناك قوة فى العالم تعمل للتقوى والعدل والقسط » .

قال مدير أحد البنوك : « إننى لا أعتبر أى شىء أكثر أهمية من الرجل الذى له عقيدة ثابتة راسخة فى القوة الإلهية ، وثقة بالواحد الأحد الذى لا يتخلى عنه فى ساعة المحنة والحرج والضيق ، فيمده بالقوة والشجاعة ليعمل عملاً صالحاً ، ويحفظ نفسه نقيًّا تقيًّا ، مخلصاً ، أميناً ، وفياً » .

فالمبادئ الأدبية التى يدعمها الاعتقاد الدينى ستجعلك تنافح بقوة عن القضايا والأغراض التى لها قيمتها ولها خطرها ؛

وإنها لتبثّ فيك الاستقامة والطهارة والأمانة والإخلاص والوفاء.

إن العمل بالعادات المرعية أو المألوفة ، والامتثال للعرف أو التقاليد لا يكفى . بل لابد أن يوجد الخلق المتين النقى ، الحر ، والمثل العليا ، والمجهود النبيل ، والسعى المشكور . فالحياة بدون مثل أدبية عليا تحكمك وتسوسك ، ستصبح حياة ضحلة ، سطحية ، لا لذة فيها ولا متعة .

٨ — دع التعاون يحل محل التفرّد :

يجب أن تذكر دائماً أن النجاح شىء اجتماعى ؛ وأنك تستفيد مما يحيط بك وممن يحيطون بك من خير اجتماعى ؛ وأنك زميل وشريك فى المجتمع ؛ وأن وظيفتك هى أن تؤهل نفسك وتعدها للنظام الآلى فى منشأتك أو إدارتك . وهذا ما يسمى بالتعاون . . .

فالتعاون هو القدرة على عمل الشىء الذى يكون فيه دائماً النفع والفائدة للجمعية أو المؤسسة أكثر من الفائدة التى تعود على الإدارة الشخصية أو الفردية . والتعاون كما يقول ابن خلدون : « من أهم أركان الحياة ، لا يستغنى عنه الإنسان ولا الحيوان » .

وإذا أردت أن تغالب فشلك يجب أن تعمل مع الآخرين ، وأن تمثل دورك فى الحياة مع الآخرين ، فالناس بالناس وخير الناس من عاون الناس . يقول الحديث الشريف ؛ « الناس بخير ما تعاونوا » ويقول أناتول فرانس : « العمل المشترك يوحد النفوس

بقدر ما تفرقها الأثرة ومحبة الذات » .

وأنت ينبغي لك أن تشتغل مع غيرك ، وتنسجم مع غيرك ، وتجعل نجاح أولئك الذين تعمل من أجلهم هو الغرض الأسمى لسعيك واجتهادك . وبهذا فحسب ستتغلب على إخفاقك .

٩ ـ دع الدوافع النبيلة تحل محل الأغراض الوضيعة :

إن أعظم ضرورة على الإطلاق لشباب الجيل هو الدافع النبيل . فالمثل العليا هى التى تحكم العالم . . والمثل العليا مع الفكر هى التى تصنع الرجال . . والدوافع هى التى تكيف الحياة وتصوغها . . والأهداف هى التى توجه نشاطنا وهمتنا . . والتحصيل هو الذى يجتذب الموارد المخبوءة . . والأغراض السامية الجليلة هى التى تؤدى إلى الشخصية الفاضلة . .

قال روبرت برنيس : « إن أكبر نكبة فى حياتى هى أنى كنت فى حاجة إلى هدف » .

إن الدافع النبيل هو الذى يساعد على جعل الحياة تستحق الاهتمام . أما المال فى حد ذاته ، والتعليم ، والشهرة ، والقوة ، كلها مجرد قشور . ولكنها إذا صُبت مع دوافع لها قيمتها ، فإنها تعمل للأغراض النبيلة التى لا تفنى ولا تزول وهى . الخلق والنفع والخدمة .

١٠ ـ النظر إلى الأمام يجب أن يحل محل قصر النظر :

قال هنرى فورد ذات مرة : « إن أكبر عمل فى حياتى هو النظر إلى الأمام » . كم لكلمة « إلى الأمام » هذه من قيمة ، وكم لها من أثر كبير ! . . .

هناك ثلاثة أصناف من الرجال : « أولئك الذين لا يؤدون كل واجباتهم ؛ وأولئك الذين يهتمون بتأدية واجباتهم ؛ وأولئك الذين يؤدون واجباتهم ويزيدون عليها قليلا » .

فالنجاح والإخفاق غالباً ما يحددهما نوع الفرد بالغرض الذى يرمى إليه ، سواء أكان يبتغى بذلك تأمين مستقبله وتحسينه ، أم كان يريد التضحية من أجل أشياء أفضل .

فإذا أردت أن تقاوم الإخفاق يجب عليك أن تنظر أمامك وتعمل أكثر مما يطلب إليك عمله . وبذلك سيكون النجاح حليفك . وكل من سار على الدرب وصل .

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه
وليس عليه أن يساعده الدهر

طريقك إلى النجاح

إذا لم أجد طريق فى الأرض المعبدة ، فسأقتحم القمم الصخرية الشاهقة دون تذمر ، لأنى أعلم أن كل جهد يتضمن فى ذاته الجزاء الكافى عنه ، وأن الآفاق الواسعة تنتظرنى فى آخر الطريق .

« جورج صاند »

أؤمن بأن حسن التدبير ركن من أركان الحياة المنتظمة ، وأن الاقتصاد عنصر أساسى فى كل بنيان مالى سليم . . الحكومة والأعمال والحياة الخاصة .

« روكفلر »

النجاح هو النتيجة الحتمية لسلامة التفكير ، وسداد الرأى ، وسعة الإدراك ، ونفاذ البصيرة .

وللنجاح صلة وثيقة بكمية رأس المال الابتدائى أو مقدار الدخل .

ثمة كثير ممن لديهم القدرة على الكسب ولهم إيراد كبير ينتهى بهم الحال إلى الإفلاس والتدهور ، والتخبط فى الأمراض والسقام ، ومعاناة البؤس والشقاء ، ويكون هذا كل نصيبهم من إيرادات السنة الختامية . كما أننا نرى كثيراً ممن يعيشون

فى حدود ميزانية متواضعة مقتصدة ، يدبرون أنفسهم ويقودونها إلى منطقة يشملها الهدوء والسكينة والدعة ، ويكتنفها الاتزان والقناعة والرضا .

والنجاح فى الأعمال لا يعتمد على الغنى والجاه ، بقدر ما يعتمد على الشخصية الكاملة المتكاملة . كما أن الإخفاق لا يعزى دائماً إلى نقص فى المال ، وإنما يعزى فى الغالب الأعم إلى عجز فى العقل ، ونقص فى الإدراك .

أولا : اتخذ لنفسك قائمة جرد وسجل فيها ما تستكشفه من أسباب أدّت بك إلى الرجوع إلى الوراء ، وصدّتك عن التقدم إلى الأمام . إن التفكير الخاطئ هو المعضلة الأساسية دائماً ، وهو السبب فى ضعف إدارة الأعمال . فهل أنت ممن يفكرون فى الإخفاق أكثر مما يفكرون فى النجاح ؟ .. هل تروى لأقاربك أو لزملائك فى العمل كيف تخفق ، ولماذا تخفق ، فى حين أنه ينبغى عليك أن توضح لهؤلاء جميعاً بكل دقة كيف ولماذا أنت سائر فى طريقك إلى النجاح ؟ . . هل فى عقلك الخفى اللاشعورى عقدة نقص مزمنة تقف ضد فكرة النجاح ؟ .

« عصام . . إنك لا تساوى شيئاً البتة . ولن تتقدم فى عملك قيد أنملة ، لأنك متردد متحير ، ولا يمكنك أن تبتّ ، فى أمر من الأمور » . .

هذه الفكرة كانت متسلطة على أحدهم ، واستمرت تدفعه إلى الخلف حتى بلغ الأربعين من عمره . إنه حينما كان فى

الخامسة عشرة كان أخوه الذى يكبره فى السن يدْسر فيه «عقدة الفشل» هذه ويدفعها فى أعصابه اللدنة ، حيث رسخت فيه ربع قرن من الزمان .

وفى عيد ميلا د عصام الأربعين حدثت أمور . حدث أن أخاه هذا الأكبر منه انتابته ضائقة مالية ، ومنى بكارثة ، فجاءه يلتمس منه النصيحة والعون . عندئذ استعاد إلى ذاكرته ما كان عليه منذ خمس وعشرين سنة مضت . ورأى بعين خياله ماذا كان يجب أن يكون . . رأى أنه كان متسلحاً ومعدًّا تمام الإعداد للنجاح كأخيه سواء بسواء ؛ وأنه كان فى ميسوره أن أن يناضل ويكافح وينافح ، ويثبت ويستقر . وبالتالى كان فى استطاعته أن ينجح . . لقد كان يتم أعماله و ينجز ما عليه من واجبات بهمة فاترة ، وحمية كليلة . . ثم رأى بعد ذلك ، فى لمح البصر ، أن كل العناصر التى يتطلبها النجاح ، كانت ولا تزال تكمن فيه . . فى ذاته . فساعد أخاه وأقاله من كبوته ، وانتشله من عثرته .

إن هذا النور الجديد ، وهذا الإيمان الجديد ، اللذان اكتنفاه أعطياه عزماً وثباتاً ، ومقدرة لانبثاق جديد من النشاط فى العمل صنع له حظه .

ثانيا : هل حياتك كلها متزنة ، حتى يكون لك بعض المشاركة فى ميول البشرية العظمى فيما يختص بكل من : العمل ، وأوقات الفراغ ، والألفة ، والعبادة ؟ . . إنك ستلمس فائدة

كبيرة ، وستجد من المزايا العظيمة ما يعود عليك بالخير الكثير ، إذا أوجدت شيئاً تعمله مع كل من هذه الوسائل الرئيسية الأربعة التى يقوم عليها *النمو الذاتى* والرضا البشرى .

هل تزاول عملاً مناسباً أو تشغل وظيفة ملائمة تمضى بها ثمان ساعات كل يوم كحد أدنى ؟ . . خصص ثمانى ساعات أخرى للراحة ، وللمسائل الاجتماعية ، واقضها فى الأعمال البناءة وفى الشئون التى تتصل بالتثقيف والتهذيب . ثمان ساعات كثيرة جداً إذا أمضيتها فى اللعب واللهو والبحث عن اللذة. وإذا أنت لم تخصص جزءاً منها للدرس وللتحسين الذاتى ، فستكون أهلاً للإخفاق والخيبة ، ولابد أن تمنى بهما . .

ثالثا : هل حياتك العملية نفسها متوازنة كما يجب ؟

هل تعترف وتسلم بالدعامات الأربع التى تقوم عليها الحياة الجارية ، والتى ترتكز عليها الحرفة العملية الناجحة ، وهى : أن تكسب ، وأن تنفق ، وأن تدخر ، وأن تعطى ؟ . .

هناك كثير ممن يفنون حياتهم ويهلكون أنفسهم فيما لا ينفع ، فى حين أنهم فى أشد الافتقار إلى فضيلة الإنفاق بحكمة وتبصر ، أو الادخار بانتظام وتدبر . إنهم فى حاجة إلى تفهم الآية الكريمة : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » .

وهناك الكثير ممن لا يفهمون ولا يدركون أن مبلغاً معيناً من المال إذا وضع بتفكر وتبصر فى بعض وجوه الخير إنما هو

استثمار تجاري غير مباشر . وأغلب الذين أخفقوا فى تجارتهم كانت تسيطر عليهم خلة الإسراف والتبذير .

إشرع فوراً فى جعل حياتك كاملة ، تامة ، لا ينقصها شيء من هذه المصادر المالية الأربعة . وبذلك تحصل على أعلى حد وأقصى درجة من اللذة والرضا فى كل أعمالك .

قم بعمل تحريات دقيقة عن نفسك . حلل نفسك تحليلاً سمحاً نبيلاً فى كل ما يتعلق بعملك أو وظيفتك الحالية . هل هذا العمل يناسبك ، وهل هو موائم لك ؟

هل أنت مخلص لعملك الإخلاص كله ، وهل أنت مكرس له ذاتك ؟

هل يقف هذا العمل أمام أى أمل مرتقب فى تقدمك وترقيتك ؟

أهناك فى هذا العمل نماء كامن ، ونتاج محتمل ؟

هل أنت عادل فى تصرفاتك الخاصة بالعمل الذى تباشره ، وبالإدارة التى تعمل فيها ؟

هل تمارس عملاً تود دائماً وفى كل وقت أن تستبدله بعمل آخر ؟ . .

تأن فى الحكم على مهنتك الحالية ، ولا تحقرها أو تتنكر لها . فمن الخطأ الجسيم أن يفكر الشاب الصغير أو يتخيل أن (شغلته) أسوأ أو أصعب من التى يشتغلها كثير من أصدقائه ، فيقع فى براثن العادة المردية ، وهى أن يتحدث بالسوء عن أمور

رزقه وشئون معاشه . وبعد تكرار هذه الإيحاءات السلبية عن أعماله . مرة بعد مرة ، سرعان ما يبدأ فى الاعتقاد بصدقها ، والإيمان بصحتها ، فيخفق ويفقد قيمة نفسه .

وإذا أردت أن تحصل من عملك على إيراد طيب ودخل كبير ، ينبغى لك أولاً أن تعيد تجديده عقلياً . وعليك أن تمتدحه وتثنى عليه عقلياً — هبه من قلبك ، سراً وعلانية ، بركتك ونعمتك . قل دائماً أبداً إنك تحبه . . وفكر دائماً فى أنك تحبه ، وحتما ستحبه . وبعد أن يتم هذا ، وبعد أن تتحسن علاقتك بعملك ، وتنسجم معه ، وتتم المواءمة بينكما ، يمكنك أن تعتمد عليه كل الاعتماد ، وتكل إليه الأمر فى جلب الدخل المطلوب لمعيشتك .

إن الإخفاق والنجاح كليهما يكمنان فى عقلك . فأى منهما ستدعو ؟ وأى منهما ستفسح له المجال للسيادة والنفوذ ؟ ولأى منهما ستخلى مكاناً يبسط فيه سلطته ؟ . .

وبما أن المهنة أو الوظيفة تميل الآن إلى التخصص ، فمن المستحيل على الفرد عملياً أن يجد مكاناً يوافق عقله تماماً ، ويتناسب مع عواطفه وانفعالاته . ومن هنا نرى أن المرء فى أشد الحاجة إلى جعل عقله وعواطفه تتناسب مع هويته . أى أنه يجب عليه أن يتعلم كيف يحب مكانه الذى أهل له ، والمهنة أو الوظيفة التى تعين عليه شغلها .

إن الطريقة السالفة الذكر سيكون لها معك فى توجيه عقلك

شأن فى غاية الأهمية وأمر عظيم الخطر . حاول أن تجربها . .

كثيرون يمكنهم أن يربحوا ، ولكن قليلا يمكنهم أن ينفقوا ؛ أى ينفقوا بتعقل ووعى وإدراك . اعمل ترسيما أو تخطيطا ، وضع ميزانية . إنك تعرف ماذا تكسب . ولكن كيف يمكنك أن تجعل ما تكسبه يكفى احتياجاتك ويسد نفقاتك ؟ . . قسمه إلى أجزاء ، وحدد هذه الأجزاء واجعلها تؤدى ما عليك من ديون ، وتدفع عنك فواتير الحساب . تنبه جيداً لما قد يكون من ثقوب أو شقوق . . وتأكد أن الأشياء الصغيرة هى التى تهدم الميزانية فى أغلب الأحيان .

اقتصد (نصف فرنك) من هنا ، و (ربع ريال) من هنا ، ووفر شيئاً مما تصرفه فى الكماليات ، وشيئاً من الميزانية الخاصة باللهو والتسلية . وابحث عن أنواع المتعة مما لا يكلفك إلا القليل أو أقل من القليل . فالتسلية الغالية التى تزيد عن الحد المألوف إنما هى فى الغالب من الأسباب التى تقلل من قيمة الشخص وتصغر من شأنه ، وتحط من قدره وكرامته . إنها ترخص من شخصيتك ، وتضعف من اعتمادك على نفسك ، وتسقط جاهك ، وتخفض من حالك .

حاول أن تمكث فى بيتك بضع ليال معينة كل أسبوع تقضيها فى الاستفادة بأى شيء . وتعلم كيف تمتع نفسك بأقل النفقات ، فى بعض الأمسيات ، وليس ثمة أفضل من الاستمتاع بقصة تقرأها أو كتاب تطالعه ، أو مذياع تستمع إليه .

كن شرّاء حريصا . وكن حكيما أصيل الرأى ، متصيداً للصفقات الرخيصة . استخلص الفائدة من السلعة التى تبتاعها ، ولا تضيع شيئاً أو تبذر فى شىء . ومن اليسير أن تتعلم كيف تستمتع بحرصك ودقتك فى نفقاتك ومصروفاتك . لا تشتر ما لاتحتاج إليه فتبيع ما تحتاج إليه. فمن السرف أن تشترى كل ما تشتهى . . واعلم أن الثروة تنتقل من يد من لا يحسن استعمالها إلى يد من يحسنه. ستجد لذة أى لذة فى تنظيف حلتك القديمة وارتدائها مدة أطول . وستنتشى بالحلة الجديدة التى استخرجها لك الحائك من الحلة القديمة التى كنت سترميها ، بعد أن قلبها وعدّل ونسق فيها .

رقع ، وأرتق ، وأصلح — هذه الكلمات الثلاث يجب أن تتدخل بخفة ، وتتسلل إلى السيطرة على النفس فى كل حياة عظيمة ، فاخرة جميلة ، وفى كل عمل ناجح .

كرّر ما يأتى بينك وبين نفسك بكل قوة وبكل حماسة إلى أن يصبح جزءاً من لا شعورك :

إننى أتعلم الآن كيف أنفق من دخلى وأتصرف فيه بحكمة وتبصر .

إننى أقتصد فى الأشياء التى تعودت أن أسرف فيها .

إننى أتدرب على صيانة ما أشتريه من حاجيات ، وأحرص على حسن استخدامها واستعمالها على أكمل وجه .

إننى لست بخيلا أو أنانيًّا أو محبًّا لذاتى أو كزّ اليدين ،

منقبض الكف . ولكنى إنسان متأمل ، مفكر ، متزن .

إننى أدقق فى المصروفات الصغيرة ، وأتجنب الإفراط الزائد ، والمغالاة المفرطة فيما لا حاجة لى به من معادن أو فضيات أو أدوات زينة مما يعد من الكماليات .

إننى أعرف جيداً كيف أحصل على المتعة والمسرة وأسباب اللهو والتسلية فى أوقات الفراغ بأقل النفقات إن لم يكن بدونها .

هذه العادة الجديدة التى من شأنها أن أكون حريصاً فى استعمال نقودى ، أصبحت جزءاً هاماً من حياتى اليومية . . إنها أعطتنى فكرة أخرى تتعلق برفعتى وسموى . هى أن أهلل طرباً ، وأمتلىء زهواً وابتهاجاً بما أحسه من قوة روحية .

إلى هنا تكون قد تعلمت أن المشكلة الكبرى فى حياتك هى أن تحمل نفسك على أن تكون وحدة ، أى أن تجعل كل جزء منك على وفاق مع جميع الأجزاء الأخرى ، تتعامل مع بعضها بتوافق ، وتخدم بعضها بانسجام .

وبعد ، كيف تقتصد ؟ . .

إنك إن لم تكن حاولت أن تقتصد فعلاً ، فابدأ تواً بوضع مبلغ صغير كل يوم أو كل أسبوع فى « حصالة » أو فى صندوق الادخار . ابدأ من الآن ، واقتطع شيئاً مما يزيد عن حاجتك . واستغن عن الأشياء التى لا لزوم لها ، والتى ليست لك بها حاجة . . « اركن » قيمتها ، كما أسلفنا ، مع مدخراتك اقتن مالاً وأعده ، واجعله عدة ليوم الشدة . .

ليس ثمة فضل أو فضيلة فى التوفير إذا كان الغرض منه مجرد الاقتناء والتملك . . إنما المهم هو ما يمكن أن تعمله بالمال المدخر ، وما يمكن أن يعمله لك ومن أجلك .

إنه حاسة الكفاية والسعة والاستقلال والشعور بالاحترام الذاتى . . .

إنه فكرة امتلاك شىء ما يتمم أو يكمل دخلك المتناقص بعد فترة من حياتك لتؤمن به مستقبلك . . .

إنه القدرة والتأثير والنفوذ الذى يمكنك أن تحصل عليه جميعاً لتبدو به أمام أسرتك والذين يمكن أن يعتمدوا عليك . .

إنه الغرض الذى يرفع عن كاهلك القلق والهم ، ويحررك من قيود الحزن والأسى ، ويخفف عنك حدة الصدمات العصبية التى قد تحدث فيما سيأتى من أيام حياتك . . .

إنه المثل الأعلى لوجود بشرى أوسع وأرحب ، ولبقاء إنسانى أكثر كمالاً وأعظم سعة . . .

إنه انتماء وانتساب إلى الأسرة الإنسانية العادية ، فهو لذلك أرقى وأسمى وأفضل وأعلى تعبير موجود فى الحياة . . والحياة المتزنة فحسب هى الحياة السعيدة الصحية .. وحسن إدارتك لمالك إنما هى أعظم عامل فى ذلك الكمال وفى تلك الصحة .

استشر بعض من يوثق برأيهم ويعتد بنصحهم فى الوفر والتدبير ، واظفر بخلاصة آرائهم وتجاريبهم . واسأل الذين نجحوا فى التوفير ، أولئك الذين كانوا موفقين فى الاستثمار فى

أضيق نطاق وفى حدود ميزانية صغيرة . اجمع هذه الحجج والبراهين ثم اتخذ لنفسك طريقة التوفير التى تروقك .

وإنى — وأنا من المشتغلين فى الشئون التجارية والمالية من زمن طويل — أرجو أن تسمح لى يا قارئى العزيز أن أسدى إليك النصح خالصاً بأن تنأى كلية عن المقامرات أيًّا كان نوعها . وأن تبتعد عن المضاربات المالية أو التجارية . وكن بعيداً كل البعد عن فكرة القمار أو الحصول على شىء بدون شىء ، أو امتلاك أشياء بدون وجه حق . وضع نصب عينك دائماً أن المال الحرام لا يدوم ، وأن « اللى يجى بلاش بيروح بلاش » .

أخيرا ، حاول أن تنهض وترتفع بنفسك فوق الهموم التى تنشأ دائماً من « القلق المالى » .

ليس المال ، وإنما حب المال ، هو أساس كل شر . . وربما يكون معنى حب المال : الهم المرهق ، والقلق المزعج ، والجشع الأنانى ، والكفاح التعس البائس فى سبيل التألق الكاذب والمظهر الخدّاع ، والنضال الذى ينطوى على الحسد لبلوغ مركز رفيع أو منصب عال يتفق مع الثروة ، والبحث بدون جدوى عن مكان فى طابور الدخول إلى الغنى والثراء ، الغنى الظاهر والثراء البادى للعيان .

أما بالنسبة إلى الباحث عن الحقيقة وطالب التحصيل العالى ، لا يعدو كل هذا أن يكون كالطبول الجوفاء ، أو كالزبد لا يلبث أن يذهب جفاء .

سر قدماً ، وادخر مالاً ، ودرب نفسك على الاقتصاد والتوفير . ولا تبع نقداً بدين كما يقول لقمان . .

عش بثروتك ، ولا تعش لها . كن مبتهجاً ، طروباً ، راضياً بما قدر لك من رزق ، وبما آتاك الله من فضله ، واشكر الله على ما وهبك من عقل راجح ، راض ، قنوع .

والفقر إنما هو الجهل بعينه . إنه الحاجة إلى معرفة أن الروح ، وليست الماديات ، هى التى تكون الثروة وتنميها ؛ وأن الروح الخالقة التى فيك وفى كل النفوس العظيمة ، المتزنة ، هى التى تنبت الكثير من الفيض ، وتنتج الكثير من الخير .

فإذا كنت أهلاً للمال بحق ، يتحتم عليك أن تتعلم كيف تهب ، وكيف تعطى ، وكيف تمنح . .

والثروة يجب أن تكون أول ما تكون فى العقل ، فهى إذن ستكون الصوت المدوى الصادر من اللاشعور ، والذى يهدى إلى الكمال . . .

وهى الاتجاه الكريم ، النبيل ، نحو الحياة الكريمة . . .

وهى الفكرة بأنها جزء من الناسوت المشترك الأعظم ، والإنسانية العظيمة العامة ، والمجتمع الإنسانى المترابط . . .

وهى المثل الأعلى للتآزر والتآلف والتآخى مع الجماهير . .

وإنها هى قانون المطابقة لحقائق الوجود العظيمة ، المطلقة ، الشاملة . . .

والإنسان عليه أن ينفق ماله فى الحق ، ولا ينفقه فى الباطل .

قال تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا » أى لم ينفقوا فى المعصية ، ولم يمنعوا من الطاعة .

إن ثروتك يمكن أن تقاس إلى حد ما بمقياس المال . ولكن الثروة الحقيقية إنما هى، فى الأصل وقبل كل شىء : أخلاقك ، واتجاه عقلك ، وكمال روحك ، واكتمال شخصيتك ، وشجاعتك ونفسك الجادّة المجدة ، والتوق إلى مطالب الروح ، والتعطش إلى الغبطة الدائمة ، والرضا الثابت ، والسرور المقيم . .

اتخذ القرار التالى ، وكرره دائماً بصيغة التوكيد :

« الكسب ، والصرف ، والادخار ، والمنح — هذى هى الأسس العملية التى تدخل الآن فى حياتى المهنية بتوافق واتساق .. إننى قائم بترتيب ما بداخل نفسى وخارج نفسى ، وتجديد وفاقى مع عالمى العملى الخارجى.. وبذلك أعلو فوق المتاعب ، وأرتفع فوق المصاعب والاضطرابات التى من شأنها دائماً هدم سلام الجميع . وإبادة خيرهم ورفاهتهم . . وبعد أن أفرغ من عمل كل شىء صائب ، معقول ، مما سلف ذكره ، مما يؤدى إلى النجاح فى العمل ، أقدم رصيدى وديعة لدى القانون السماوى العظيم — قانون العرض والطلب — عرض أعمالى ، وطلب الجزاء عليها » . .

فهرس

	ص
أسرار النجاح	٥
عجائب الحياة السبع	١٨
لا تبدد قوة فكرك	٣٠
لا تلم حظك	٤١
واجه مخاوفك	٥٢
كن مرحاً ، تكن سعيداً	٦٣
الشخصية : ما هى وكيف تغيرها ؟ . . .	٧٢
عشر طرق لمقاومة الإخفاق	٨٥
طريقك إلى النجاح	٩٨

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢

يناير ١٩٦٢ الثمن ٣٠ مليماً